الوعي العربي

مجلة غير دورية تصدر عن موقع الفكر القومي العربي - ٢٣ تموز / يوليو ٢٠١٠

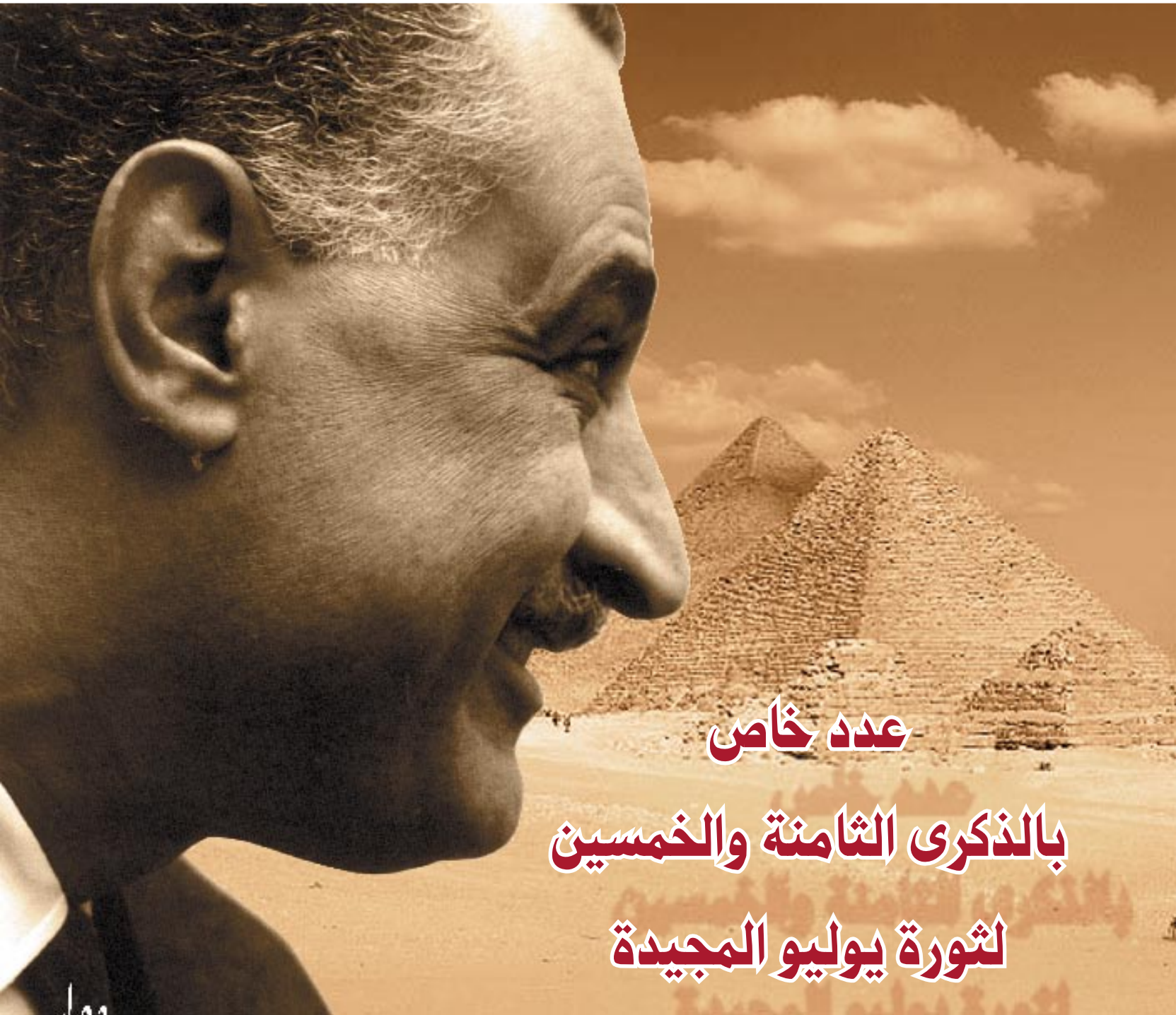

عدد خاص

بالذكرى الثامنة والخمسين

لثورة يوليو المجيدة

الكلمة الأولى

(تحية إلى ثورة يوليو)

بقلم: عماد الدين حسين

ما الذى يدفع رجلا عجوزا أو سيدة مسنة لوضع صورة جمال عبدالناصر على حائط منزله الريفى خصوصا فى الصعيد؟! وما الذى يدفع بعض شباب الجامعات لرفع صوره وشعاراته فى كثير من المظاهرات الآن؟!

هل لأن عبدالناصر كان صعيديا، أم لأن عينيه كان بهما بريق ولا يستطيع أحد أن ينظر فيهما مباشرة، أم لأن عبدالناصر «سحر» الجميع خصوصا الفقراء وضحك عليهم بالشعارات ودغدغ عواطفهم بمعسول الكلام كما يحلو للبعض أن يقول؟!

سؤال قد يبدو مكررا للبعض، لكنه لا يزال بلا إجابة حقيقية حتى الآن لدى كثيرين.

صعوبة السؤال أن عبدالناصر الذى يعتبر المسئول الأول عن هزيمة وكارثة يونيو 1967، والمسئول عن التعذيب وغياب الديمقراطية وقمع الحريات، ما يزال يحتل مكانة كبيرة فى قلوب المصريين والعرب، رغم أن السادات صاحب انتصار أكتوبر والذى دشن مرحلة التعددية الحزبية لا يحظى بنفس المكانة.

محبو وعاشقو عبدالناصر لديهم مليون سبب لتفسير هذا الحب الشعبى الجارف منها أنه انحاز للبسطاء والفقراء ووضع يده على مفاتيح الدور المصرى فى المنطقة.

والكارهون لعبدالناصر والثورة يلصقون به وبها كل الموبقات التى حدثت فى مصر والمنطقة العربية، بل والعالم لدرجة تدفع بعضهم لكى لا يرى فى مشروع السد العالى سوى أنه منع وصول الطمى للأرض، وينسون قبلا أنه حمى مصر لسنوات طوال من كارثة الجفاف والتصحر.

لندع هذا الحديث الجدلى حول شخصية عبدالناصر، وهل ما حدث فى 23 يوليو عام 1952 كان ثورة أم انقلابا أم «حركة مباركة».. لكن السؤال الذى ينبغى أن يشغلنا - ضمن أسئلة كثيرة أخرى - هو: هل النقاش حول ثورة يوليو وزعيمها هو حديث فى الماضى ينبغى أن يتوقف فورا أم أنه مفيد ونحن نتحدث عن المستقبل؟!

يستطيع المرء أن يتفهم سر غضب الكثيرين وهم يرون المجتمع منقسما على سياسات حدثت منذ نحو 60 عاما ويعتقدون أن ذلك يمثل عقبة هائلة أمام أى حديث جاد عن التطور والتقدم.. ولا يستطيع المرء أن يتفهم سر إصرار بعض «المغالين» الذين يريدون استنساخ قرارات وسياسات حدثت منذ عشرات السنين لتطبيقها فى واقع مختلف ومتغير.

المؤكد بالنسبة لى على الأقل أن سياسات عبدالناصر ليست شيئا من الماضى وحتى لا يتهمنى البعض بأننى «درويش ناصرى» أسارع إلى القول إنه لا يمكن لعاقل إذا كان يتحدث عن الإصلاح والتقدم أن يبرر أو يدافع عن التعذيب ومراكز القوى والحزب الواحد والمحسوبية وجميع الخطايا التى وقعت فيها الثورة.

لكن اختزال الثورة فى هذه الأشياء فقط هو ظلم فادح لها ولقائدها والأهم للشعب.

راجعوا تمسح الحكومة فى الثورة وقائدها وحتى أغانيها.

عبدالناصر لم يخترع الوطنية، أو القومية العربية، ولم يكن أول من طالب بالعدالة الاجتماعية لكنه أول من طبق ذلك فى العصر الحديث فى مصر.

الكثيرون تحدثوا وطالبوا.. لكنه طبق نظاما ما يزال بعضه يمثل ركنا أساسيا فى الاقتصاد المصرى.

المطالبة بالعدالة الاجتماعية وأنصاف الفقراء ليس شيئا من الماضى، والمطالبة بحد أدنى من التنسيق العربى ليس شيئا من الماضى.

ومحاربة أى عدو على الحدود الشرقية ليس شيئا من الماضى.. التعليم والعلاج بالمجان ليس شيئا من الماضى.

ويا أيها الكارهون لعبدالناصر وللثورة.. طبقوا هذه الأفكار على الأرض، ولا تسموها ناصرية أو اشتراكية.. سموها ما شئتم.. لكن فقط طبقوها أولا، وقتها سيضع الجميع صوركم على جدران بيوتهم الطينية.

تحية إلى ثورة يوليو فى عيدها.. وتحية إلى زعيمها جمال عبدالناصر.. وتحية إلى كل المدافعين «الفعليين» عن حق هذا الشعب فى حياة حرة وكريمة.

ثورة أحرار

المرابطون: التأكيد على التزامنا بثورة يوليو ومبادئ تحرير الأرض بالقوة وحصانة كرامة الإنسان من خلال الإكتفاء الذاتي

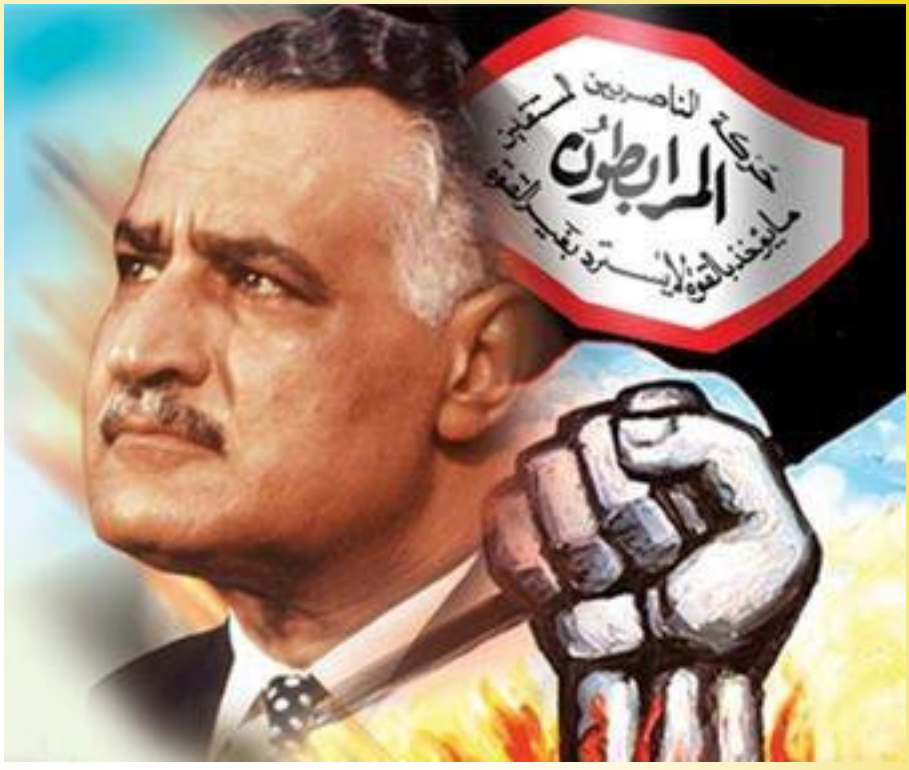

في ذكرى ثورة يوليو المجيدة التي فجرها الرئيس الخالد جمال عبدالناصر ورفاقه ، ومن مرتكز ان انتمائنا لهذه الثورة بابعادها القومية والناصرية والإسلامية والوطنية، تؤكد حركتنا قيادة وكوادرا وعناصرا، انها ستبقي تؤمن الى يوم الدين ان هذه الثورة تشكل المشروع المركزي الوحيد للعصر القائم للامة العربية وكرامتها.

ومن هذا المنطلق تؤكد حركتنا على النقاط المفصلية التالية:

١ – ان ثورة يوليو التي حققت وصاغت على الأرض مشروع اول وحدة للأمة العربية مع سوريا هي التي اثبتت ان المقاومة الفلسطينية بابعادها الوطنية ستبقى وتستمر ولو كره الكافرون والمستسلمون. وما تأكيد عبد الناصر عمليا عبر فرض الإعتراف بأن المقاومة والثورة الفلسطينية حقيقة قائمة لا يمكن تجاهلها وذلك من خلال اصطحابه ابو عمار الى الإتحاد السوفياتي وفرض الإعتراف بحتمية الثورة الفلسطينية التي تؤكد استمراريتها في زمن الردّة الإستثنائية لبعض المتكلمين باسمها. ولم يكن موقف رئيس الحركة الأخ ابراهيم قليلات اثناء حصار بيروت والمطالبة باخراج المقاومة الى استمرار في الإيمان بهذه الحتمية.

٢- تلتزم حركتنا بالمبادئ الستة للثورة والتي وفي ثقافة حركتنا ستبقى الى يوم الدين تشكل المشروع بمجموعه وتفاصيله لتطوير مستقبل امتنا وصولا لتحرير فلسطين كل فلسطين وليس قطاع او ضفة منها

٣ – نجدد قناعتنا كحركة بمبادئ ثورة يوليو التي اثبتت ان نبذ كل تفاصيل مشاريع الإستسلام والخنوع يؤسس اكتمال كرامة الإنسان وحريته والتي ايقظها عبد الناصر في كل فكر وفؤاد عربي عبر ندائه الواضح: ارفع رائسك يا اخي ارفع، رأسك يا عربي، وما اوخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة

٤- ان الفكر الناصري الداعي الى الوحدة العربية ليس فكر افتراضي ، فالتاكيد على انتماء جمهورية مصر العربية لأمتها العربية الكبرى لم يكن من خلال الشعارات اما عبر قيام اول وحدة بقيام الجمهورية العربية المتحدة

٥ – تشكل ثورة يوليو النموذج العصري التطبيقي لتحصين كرامة الشعب والإنسان العربي . فمن خلالها وفرت رغيف عيشه وحياته عبر اقامة المؤسسات التي وفرت متطلبات العيش الكريم اليومية للانسان العربي المصري وذلك في ظل اقسى مؤامرة شنت عسكريا اقتصاديا اجتماعيا سياسيا. وتؤمن حركتنا ومناصريها صوابية الثورة التي كسرت اهم حلقات الحصار الحياتي للشعب المصري من اجل المستقبل ومن اجل كرامة الإنسان المقاوم عبر اقامة السد العالي والذي لم يهان بالرغم من مسلسل المؤامرات والحروب المتعددة بابعادها العسكرية والإقتصادية والسياسية لمحاولة منع استكمال بنائه

٦ – ان حركتنا والتي قدمت مئات الشهداء في صراعها المباشر مع العدو الصهيوني او من خلال اتباعه من قوى استسلامية وانعزالية تعزو كفاحها الى ثقافة نضالية ارساها عبد الناصر سيد المقاومين. وتؤكد حركتنا على صلابة رؤيتها من خلال ثبات موقفها آخذا من كسر عبد الناصر لحصار السلاح في صفقة السلاح التشيكية وتحجيمه لدور الدول الغربية وعلى راسها امريكا قدوة لمرحلة كفاحية تطويرية لعمل حركة الناصريين المستقلين وقوات المرابطون. وما اصرار حركتنا على استقلالية عملها الا نتيجة طبيعية لتجربة ثورة يوليو والتي اثبتت امكانية الكفاية الذاتية والتي تمت من خلال اقامة آلاف المؤسسات والمصانع لكل مجالات كرامة الإنسان

٧ – نؤكد استراتيجية وطنية ثورة يوليو عبد الناصر والتي تمت عبر تأميم قناة السويس فكان العائد الوطني لهذه االخطوة التاريخية الأساس للكرامة الوطنية في كل مجالاتها ومن اهمها تمكن الثورة وقائدها الإلتزام بثورة الشعب الفلسطيني ومن بعدها حركات تحرر عربية وإفرقية والدولية بما فيها اميركا الجنوبية على قاعدة ما اوخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة ، توجت عبر تحقق اول ارادة نضال سياسية عسكرية عبر تحرير اليمن كدولة عربية ردا على مؤامرة حرب الإنفصال

٨- كانت عظمة ثورة يوليو ومشروع انتصاره الذي مهد لإنتصار حرب العبور عبر الإنتصار الأول من خلال حرب الإستنزاف والتي كانت بتأكيدات تاريخية ودراسات عسكرية واستراتيجية السبب الرئيسي لنجاح حرب استعادة سيناء والتي اتت تنفيذا لقسم وتوقيع الرئيس الخالد عبدالناصر على قرار حرب العبور قبل استشهاده والتي سماها مرحلة "غرانيت ١ " .

حركة الناصريين المستقلين – قوات المرابطون

امانة الشؤون الإعلامية

ثورة ٢٣ يوليو

أحتفال عيد ثورة ٢٣ يوليو «الثامن و الخمسين»

تتشرف لجنة الشئون العربية بنقابة الصحافيين المصريين بدعوتكم لحضورأحتفالها بعيد ثورة يوليو ال ٥٨ تحت عنوان

« ثورة يوليو نظرة للمستقبل»

و ذلك يوم الأحد الموافق ٢٥ يوليو الساعة ٧ مساءا

"و يشارك بالحضور " أبجديا ":

السفير ابراهيم يسري

دكتور حسام عيسي

الأستاذ حمدين صباحي

الأستاذ سامح عاشور

دكتور صفوت حاتم

دكتور عاصم الدسوقي

الأستاذ عبد الحليم قنديل

مهندس يحي حسين

و تشمل الأحتفالية علي فقرة شعرية للشاعر الكبير سيد حجاب و فنية للفنان أحمد اسماعيل و الفنان علي أسماعيل و معرض كاريكاتير للفنان عصام حنفي و معرض كتب " الكتاب القومي "

يدير الندوة الكاتب الأستاذ سليمان الحكيم

منسقا الأحتفالية : مهندس محمد الأشقر و الأستاذ محمد الشرقاوي

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..الدروس والعبر

أمير الحلو/بغداد

تمر الذكرى الثامنة والخمسون لقيام ثورة 23 تموز 1952 في مصر،في ظل اوضاع التجزئة والتشرذم وغياب الديمقراطية التي تسود اغلب البلدان العربية،في حين ان تلك الثورة الرائدة كانت تطمح الى تحقيق اهداف قومية سياسية واجتماعية واقتصادية لصالح الجماهير وخصوصاً الطبقات الفقيرة في عموم الوطن العربي،والى بناء مجتمع العدالة والمساواة والوحدة الوطنية وذلك من خلال الاصلاح الزراعي والتصنيع وتعزيز البناء الاشتراكي .

لقد كانت جميع البرامج التي طرحها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قائد الثورة ذات مضمون تقدمي يقوم على مبادئ واضحة في مقارعة الاستعمار والاحلاف الاجنبية والقواعد العسكرية في جميع البلدان العربية،ومساندة حركات التحرر العربي والعالم الثالث وتكوين كتلة عدم الانحياز التي شكلت في وقتها ثقلاً مهماً في الخارطة السياسية الدولية،كما حققت الثورة منجزاً كبيراً وهو تحقيق الوحدة بين مصر وسورية وقيام الجمهورية العربية المتحدة،وعلى .

الرغم من مؤامرة الانفصال إلا انها تبقى تجربة غنية بايجابياتها وسلبياتها في طريق العمل التحرري العربي .

ومهما اختلفت وجهات النظر في تقييم الثورة وقائدها،إلا انه لايمكن انكار دورها الرائد على الصعد الداخلية والعربية والدولية،لذلك فقد واجهت العديد من المؤمرات والتحديات وابرزها التزامها الوثيق بحقوق الشعب الفلسطيني وتعرضها للاعتداءات الاجنبية والاسرائيلية بسبب موقفها هذا .

إننا اذ نثمن ما قدمته ثورة يوليو من مكاسب للشعب المصري والامة العربية لابد لنا من تأكيد بعض الحقائق الموضوعية التي جعلتنا الثورة نعيها ونستفيد من تجاربها لتفادي الوقوع بها،ويأتي في مقدمة ذلك،ومع اعتراضنا بالظروف التي كانت تعيشها مصر آنذاك،رفض اسلوب الانقلابات العسكرية لفرض انظمة معينة على الشعوب،وقد عانى اكثر من بلد عربي ومنها العراق من تلك الظاهرة التي جلبت الويلات والصراعات والانظمة الديكتاتورية والاستغلال ،لذلك فاننا نرفض كلياً اللجوء للانقلاب العسكري تحت أية حجة أو ظرف،مؤكدين ان ما حدث في 23 تموز 1952 تحوّل في الحقيقة الى ثورة سياسية واجتماعية واقتصادية بفضل وعي القيادة والتفاف الجماهير حولها،ولكن لا يمكن اعتبار ذلك قاعدة للتغيير في كل زمان ومكان.

أما الشخصية المركزية والمهمة التي لابد من تناولها ونحن نحيي ذكرى ثورة يوليو فهي المتعلقة بالديمقراطية،اذ ان الثورة لابد وان تطلق الحريات العامة للجماهير في مختلف المجالات وابرزها التعددية وعدم احتكار السلطة والتداول السلمي لها ويأتي ذلك من خلال السماح بتشكيل الاحزاب والتنظيمات الوطنية وعدم فرض نظام الحزب الواحد والمرتبط بالدولة ومؤسساتها،فقد اثبتت جميع التجارب في الدول العربية وغيرها فشل هذا النظام وتحوله الى ديكتاتورية تقمع الصوت الآخر وتمنعه من المشاركة في السلطة وحتى من ابداء الرأي في القضايا المصيرية التي لها علاقة بالشعب كله ... ويأتي تأكيدنا على هذه المسألة من حقيقة كون مجتمعاتنا متعددة في مكوناتها العرقية والدينية والمذهبية والافكار والاتجاهات السياسية وبالتالي لا يمكن فرض نظام الحزب الواحد عليها وبالتالي قمعها وعدم السماح لها بممارسة حقها الطبيعي سواء في المشاركة أو ابداء الرأي ...ونحن نعتقد لتأكيد هذا الرأي بان الحركة القومية العربية ذات طابع انساني وتقدمي وتتناغم في طروحاتها وتوجهاتها مع الجماهير ،وبالتالي فانها تعمل مع جميع المكونات الاخرى على بناء الدولة الوطنية ومؤسساتها،وضمان المشاركة الكاملة لكل ابناء الشعب مهما اختلفت توجهاتهم الوطنية في العملية السياسية وما تفرزه من مؤسسات دستورية .

إن أي نظام يريد تحقيق التقدم والأمن والرفاهية للشعب لابد له وان يسلك النهج الديمقراطي في سياسته وتعامله مع الآخرين،وذلك لن يتأتى إلا من خلال عقيدة وسلوك ومنهج يؤمن بالجماهير ودورها في صنع القرار عن طريق ممثليها سواء في الاحزاب والتنظيمات أو من خلال مشاركتها في المؤسسات المنتخبة ديمقراطياً مثل المجلس النيابي ومجالس المحافظات ومنظمات المجتمع المدني وغيرها من التنظيمات الجماهيرية،وهذا ما تفتقده أكثر الدول العربية مع الاسف لذلك نجد ونحن كما يقال نسبح على بحيرة من النفط والثروات الطبيعية يعيش اكثر مواطنينا حياة التخلف والحرمان ويجري التصرف بالثروات التي هي ملك الشعب بطريقة تخدم الحكام ومصالحهم الخاصة والطبقات المحيطة بهم .

واذا كان للثورات والانتفاضات من أهمية في عالم اليوم فهي في الدروس المستفادة ايجابياً أو سلبياً من تجاربها،لذلك فاننا اذ نحيي ذكرى ثورة 23 تموز في مصر العزيزة وقائدها الرئيس جمال عبد الناصر ،نجد انها قد أعطتنا تجربة غنية في جميع

المجالات يجب الاستفادة منها واستثمارها نحو التقدم الى الامام وتجاوز الاخطاء والصعوبات التي واجهتها وانعكست سلبياً على حركة التحرر العربي واهدافها القومية،ولا يشكل ذلك عيباً في مسيرتنا بل ان الخطأ هو في الاصرار على انتهاج وتكرار السلبيات هنا وهناك ،مما أثر على العديد من الاهداف التي كنا نطمح الى تحقيقها من خلال مسيرتنا النضالية،وجعل العديد من القوى والجهات الحاقدة توجه سهاماً الى مبادئ حركة التحرر العربي .

تحية لثورة 23 تموز القومية التحررية ولقائدها جمال عبد الناصر ولنجعل من هذه الذكرى منطلقاً لمسيرة تقدمية ديمقراطية تؤسس لمنهج واقعي لتحقيق الاهداف التي ناضلنا،ولازلنا،من أجل تحقيقها

٢٣ يوليو قائد وثورة

اسحق البديري

في الساعات الاولى من صباح ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ اندفعت الطلائع الوطنية في الجيش المصري لتدك معاقل الرجعية والفساد في مصر ايذانا ببدء تاريخ جديد للشعب العربي في مصر وللامة العربية كلها ..... في ذلك الصباح المجيد انطلق فتية من ضباط مصر وشبابها ليغيروا تاريخ بلادهم وتاريخ المنطقة العربية باسرها بل تاريخ اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ..... استولى

الشباب السمر من ابناء مصر العائدين من ميدان القتال في فلسطين في فجر ذلك اليوم على قيادة الجيش ليصبح الجيش المصري كله في خدمة اماني الشعب وتطلعاته بعد ان كان لسنوات طويلة في خدمة القصر والاستعمار ... في ذلك الصباح المشرق كان الضابط الشاب العائد من حصار الفالوجا في جنوب فلسطين يقود تنظيم الضباط الاحرار الذي اسسه وبناه من اجل يوم تشرق فيه شمس الحرية لتسطع على امتداد وادي النيل خرج جمال عبد الناصر في ذلك اليوم العظيم ليقود ثورة غيرت وجه مصر والوطن العربي .....

ولقد ارتبطت ثورة ٢٣ يوليو باسم قائدها جمال عبد الناصر .... لقد اعطى للثورة حياته واعطى لوطنه ولامته كانبل ما يكون العطاء لقد اصاب واخطأ لكنه وبكل المقاييس ظل صامدا مناضلا ومقاتلا ووفيا للمبادئ العظيمة لثورة يوليو عاش حياته مناضلا ضد الاستعمار القديم والحديث ونجح في ارغام قوى الاستعمار القديم على الرحيل ليس عن وطنه المصري فحسب ولكن عن وطنه العربي الكبير بل وعن افريقيا واسيا وكانت ذروة نضاله معركة السويس سنة ١٩٥٦ فالعالم بعد السويس لم يعد هو عالم السويس بعد السويس تحررت اوطان عربية واشرقت شمس الحرية على امتداد القارة الافريقية

ظل عبد الناصر وفيا لشعبه وبالذات للعمال والفلاحين الكادحين وهم الاغلبية الساحقة من الشعب المصري وقاتل ضد الاقطاع والرأسمالية المستغلة ونجح في اقامة مجتمع الكفاية والعدل مجتمع الانتاج والخدمات .... وبنى السد العالي مفخرة الشعب المصري العظيم واقام المصانع والمزارع وشيد الجامعات والمدارس وكانت مجانية التعليم التي رفدت مصر بملايين المهندسن والعلماء والصناع ونمت مصر وتطورت الحياة على ارضها في كل الميادين وازدهرت الثقافة بكل صورها واشكالها في المسرح والسينما في التأليف والترجمة في الموسيقى والغناء

وقامت مصر تحت قيادته باعظم اداورها على المستوى القومي والدولي فعلى المستوى القومي اتحدت مصر وسوريا في دولة واحدة هي الجمهورية العربية المتحدة وعلى المستوى الدولى شكل عبد الناصر مع تيتو ونهرو نواة حركة عدم الانحياز ..... وكبرت مصر وكبر العرب معها لكن الاستعمار الجديد واسرائيل لم تقبل ذلك كله فكانت المؤامرات حتى وصلت الى العدوان المسلح في يونيو ١٩٦٧ وتحمل عبد الناصر المسؤولية وتنحى عن الرئاسة لكن جماهير الشعب المصري والجماهير العربية رفضت الهزيمة واصرت على عودته لمواصلة النضال وعاد الرجل ليني من جديد ومن وسط الحطام والانقاض خرجت مصر ونهضت من جديد تستعد للجولة الجديدة وكان يقول دوما ان ما اخذ بالقوة لا يمكن ان يسترجع الا بالقوة وبنى جيش المليون جندي استعداد للمعركة وكانت حرب الاستنزاف امجد معاركه وفجأة كانت مشيئة الله فقد رحل جمال عبد الناصر جسدا ولكن روحه كانت مع الجنود والضباط وهم يعبرون جسور العبور في السادس من اكتوبر ١٩٧٣

لم يكن جمال عبد الناصر ينسب لنفسه كل هذه الانجازات كان يقول دائما ان الشعب هو الباني وان أي قائد مهما كان له دوره يؤديه ويمضي ويبقى الشعب هو الباقي من الابد الى الازل

هذا هو جمال عبد الناصر الذي قاد ثورة مجيدة وعظيمة في مثل هذا اليوم منذ ثمانية وخمسون عاما هذا هو الرجل الذي قال يوما انني لست قائد هذه الامة ولكنني تعبير عنها واسأل في الختام هل يجود الزمان علينا بقائد مثل قامة جمال عبد الناصر واقول ان هذه الامة ولادة

وفي يوم ٢٣ يوليو ٢٠١٠ اقول وبكل الامل اظن اننا على موعد قريب مع قائد في مثل عظمة جمال عبد الناصر

خواطر وأفكار في الذكرى الـ٥٨ لثورة ٢٣ يوليو المجيدة

ثورة يوليو

السيد العزونى

تظل ثورة يوليو من الثورات الحية التي يعجز النسيان على محوها من علي جدار الزمن أو يطويها التاريخ في طي النسيان لأنها أولا: حفرت لنفسها علي جدار التاريخ مكانا بارزا كحلته بدورها الوطني والقومي والتفاعل الحي مع قضايا الأمة العربية عامة وفلذة كبدها القضية الفلسطينية ولم ترخى حبالها لترسى علي شواطئ الغرب تتسول مواقفها بل ظلت قلاعها مشدودة ومشرعة ولم تسلم رايتها ولم تتنازل عن قرارها وحافظت علي استقلالها وصانت إرادتها وعصى لجامها على غيرها ليكبحها أو ثنيها عن ريادتها ودورها ولأنها ثانيا: الثورة الأم الحاضنة لكل الحركات الثورية التحررية من مشرق الأرض إلي مغربها وتدين هذه الأقطار بفضلها ومساندتها في تحررها من المستعمر فكيف يغبن هذا الفضل ويمحو دورها ولأنها ثالثا :أسست لقواعد اللعبة السياسية العالمية قوة لا يحدها الانتماء للغرب أو الشرق ولكنها ناءت بنفسها ومن كان على منوالها موقفا لا انحياز فيه فكانت حركة عدم الانحياز تنم علي إن دول العلم النامي شطأت بها مواقفها بعيد عن صراع القوى العظمى (الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الأمريكية)التي تتجاذب أطراف الصراع من اجل طحنها في دوامه السباق والاستحواذ والانتماء ولأنها رابعا لم تستعين بنظريات سابقة التجهيز والإعداد لتلبي طموحها في تنمية مستقلة وطموحة ولكنها استعانت بتراثها الفكري والعقائدي وحرثت الأرض تنقب عن منهجها فكان مشروعها القومي العربي الوحدوي نابع من تبر أرضها فنهضت عازمة علي تحقيقه ولم يثنيها عنه غوائل الغرب ودسائسه في المنطقة فكسبت إيمان الشعب العربي بها لذا كان هذا الشعب هو معينها وعضدها فى مواقفها فلم تكن حرب 56الا نقلة نوعيه فى نوعية الموقف العربي وتحدى اثبت جدارته فرسخت نمو زجا يحتذي به لدول العالم الثالث وبها أفلت قوى ونطفأ شمسها وتغيرت منظومة التحكم الدولى وينتزعها قطبين جديدين.

أرست ثورة يوليو شموخا عربيا في النفوس عصي علي أعدائها محو أثره ومازالت القيم والمبادئ ومشروعها القومي الوحدوي غاية المنى لدى الشعوب العربية التي تتوق إليه وترى فيه خلاصها من تلك الردة العربية ونظمها المنغمسة في التبعية الأمريكية الصهيونية

بقلم: زياد شليوط

تحل اليوم الجمعة الذكرى السنوية الثامنة والخمسون لقيام ثورة 23 يوليو في مصر بقيادة تنظيم "الضباط الأحرار" في الجيش المصري الذي وقف على رأسه الضابط الوطني الشجاع الشاب جمال عبد الناصر ومعه نخبة من الضباط الوطنيين، الذين نجحوا في تحرير مصر من نير الاحتلال والعبودية، وألغوا النظام الملكي الفاسد والخاضع لأوامر لندن وأعلنوا النظام الجمهوري المستقل، وبنوا جيشا وطنيا ونفذوا برنامج الاصلاح الزراعي والتصنيع والمساكن الشعبية وحققوا حلم ملايين المصريين الفقراء بمجانية التعليم وأعادوا الأملاك والسيادة للمصريين من خلال تأميم قناة السويس والبنوك وغيرها بعد سنوات من الظلم والعبودية.

ولم يقتصر تأثير الثورة على مصر وشعبها بل امتد للشعوب والأقطار العربية التي انتفضت على القهر والظلم وقامت بالثورات والحركات التي استهدفت نيل الحرية والاستقلال، كذلك امتد تأثير الثورة المصرية لدول العالم الثالث وعدم الانحياز، وبات اسم عبد الناصر مقرونا بالحرية والكرامة والعزة سواء قوميا أو شخصيا، وكثيرا ما نسب المواطن العربي في الخارج الى "ناصر" كما كان يردد الأجانب، وما زال اسم عبد الناصر يعلو ويسمو في تلك المناطق والأقطار ونرى قادة دول مثل شافيز، رئيس فنزويلا يفتخر بأنه ناصري.

وبهذه المناسبة العظيمة لا بد من وقفة قصيرة مع أفكار وخواطر تؤكد علاى حضور عبد الناصر وثورته "البيضاء"، وخاصة من أجل الأجيال العربية القادمة.

عبد الناصر وحسن نصرالله

نشرت الصحف الاسرائيلية، الأسبوع الفائت، خبرا عن بحث أكاديمي جديد أعده ضابط كبير في شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، أفاد أن الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله هو الزعيم العربي الأول الذي حقق قدرة تأثير على الجمهور الإسرائيلي في خطاباته، منذ رحيل الرئيس المصري جمال عبد الناصر.

البحث الأكاديمي الذي أعده العقيد رونين في إطار دراسته في جامعة حيفا للحصول على شهادة الماجستير، استند إلى خطابات نصر الله خلال حرب لبنان الثانية التي اندلعت في مثل هذه الأيام قبل أربع سنوات. ويصف الضابط الإسرائيلي نصر الله بأنه الزعيم العربي الأول الذي طوّر قدرة للتأثير على الرأي العام الإسرائيلي منذ عبد الناصر في سنوات الستين من القرن الماضي.

ربما هي الصدفة التي أدت الى نشر نتائج هذا البحث عشية الذكرى السنوية لثورة 23 يوليو التي قادها جمال عبد الناصر. لكن نتائج البحث تؤكد ما كان لعبد الناصر من تأثير على المجتمع الاسرائيلي بكافة شرائحه من متخذي القرار حتى أبسط مواطن، ولا نبتعد عن الواقع عندما نقول أن عبد الناصر أقض مضاجع الاسرائيليين، مع أن البعض من بيننا يستهزيء بهذه المعطيات ويستذكرون فقط أن عبد الناصر لم يحقق نصرا على اسرائيل في ميادين المعارك العسكرية. ربما يكون ذلك صحيحا مع أنه ليس دقيقا، فحتى في عز هزيمة حزيران وآثارها السلبية، سرعان ما خرج الجيش المصري من حالة الهزيمة والاحباط الى حالة ضرب مواقع اسرائيلية جعلت اسرائيل تعيد حساباتها، وتمكن الجيش المصري بقيادة عبد الناصر ومعه رئيس الأركان الذي استشهد في ساحة المعركة الشهيد عبد المنعم رياض، من تدمير البارجة الحربية الاسرائيلية (ايلات)، ودخل في حرب استنزاف مع اسرائيل وبعدها بنى حائط الصواريخ، وأخذ يجهز ويحضر الجيش لحرب ازالة آثار العدوان التي لم تتحقق في حياته، صحيح لكن حرب أكتوبر 1973 وما حققه فيها الجيش المصري من نصر عسكري، كانت من تخطيط واعداد القائد عبد الناصر وجهز الجيش لهذه الحرب التي تحققت بعد وفاته؟ وجاءت الدراسة المذكورة لتؤكد تأثير وقوة عبد الناصر في موته كما في حياته.

الوطن الكبير وفضائية ناصرية

كنت قد دعوت في مقال سابق لي قبل أكثر من عام، الى انشاء فضائية قومية ناصرية. ومنذ فترة قصيرة لا تتجاوز الأشهر الثلاثة كما أظن، بدأنا نشاهد محطة فضائية كهذه تحت اسم "الوطن الكبير" وهي ما زالت في مرحلة البث التجريبي. وهذه المحطة تضع شعارا لها خريطة الوطن العربي بما يتناسب مع اسمها، حيث تنطلق من منظور وحدوي وتعتبر الأقطار العربية وطنا عربيا واحدا، كما دعا ونادى القائد العربي القومي جمال عبد الناصر. وتبث هذه المحطة مقاطع

في الذكرى الثامنة والخمسون للثورة

من خطابات عبد الناصر وأناشيد وطنية عرفناها ورددناها على مدى العهد الناصري. لكن الى جانب ذلك فان المحطة تبث مقاطع من خطابات قائد ثورة الفاتح من أيلول الليبية معمر القذافي، مما يؤكد أن المحطة تبث من ليبيا وبدعم مباشر منها. ان خطوة ليبيا هذه تستحق الشكر والتحية، حيث أعادت الينا عبد الناصر حيا بالصورة والصوت كما رسخت في أذهان الجماهير العربية التي عاصرت الزعيم الكبير، وبات متاحا لمن لم يعرفوا القائد الخالد ولم يعاصروه أن يروه ويسمعوه، خاصة وأن الحاجة اليوم باتت ملحة لتعريف الأجيال الجديدة التي لم تشاهد القائد عبد الناصر ولم تعايش عصره مباشرة، أن تتعرف على هذا القائد وفكره وعهده وما نادى به من مباديء وما رفعه من أفكار قومية تحررية.

لكن مرة أخرى نشير الى ان رعاية النظام الليبي لهذه المحطة القومية يحد من انتشارها معنويا بين الجماهير، والأمر لا يتعلق بالنظام الليبي بالذات بل ينطبق على أي نظام سياسي آخر، لأن هذا يفرض عرض مقاطع من خطب القذافي أو زعيم هذه الدولة أو تلك ممن يرعون هذه المحطة، خاصة وأن هذا النظام أو ذاك له خصوم وأعداء، وخاصة وهو على قيد الحياة. رغم حيوية الخطوة الليبية، لكن يفضل لو أن المحطة كانت بعيدة عن أي نظام عربي، وجاءت برأس مال عربي غير تابع لأي نظام أو حلف خاصة أن عبد الناصر كان أكبر من الأنظمة ورافضا للأحلاف المشبوهة.

عبد الناصر وفلسطينيو الـ48

كانت وما زالت معزة خاصة لعبد الناصر في قلوب أبناء الشعب الفلسطيني، ومنه هذا الجزء الذي تمسك بأرضه وما تبقى من وطنه، الجزء الذي بات يعرف بعرب الـ48 وفق تعريف أهلنا وأبناء شعبنا العربي الكبير. فأبناء الشعب الفلسطيني الذين بقوا داخل الوطن الذي تحول الى سجن انفرادي بالنسبة لهم بفضل الاجراءات الاسرائيلية، حيث أغلقت الحدود ولم يسمح للفلسطينيين الخروج للدول العربية، بل حظر عليهم الاتصال بأي فلسطيني غادر الوطن حتى لو كان قريبا لهم، لأن ذلك اعتبر مخالفة للقانون واتصالا بـ"عدو" وهكذا انقطع الفلسطينيون في الداخل عن سائر اخوتهم العرب، ولم يجدوا متنفسا الا من خلال جهاز "الراديو" الذي كان ينقل لهم ما يحدث في الوطن العربي وعلى رأسه ثورة 23 يوليو، وبدأوا يسمعون صوتا مختلفا وباعثا للأمل والتفاؤل، وأخذ الناس هنا يتابعون من خلال المذياع "صوت العرب" وغيرها والأهم يتابعون خطابات الرئيس جمال عبد الناصر، وعندما كان ينقل الخطاب عبر الاذاعة كان السكون يسود الشوارع والحارات العربية والجميع في حالة اصغاء تام ويمنع الاتيان بأي حركة أو صوت الى أن ينتهي عبد الناصر من خطابه.

تلك الوقائع سجلت في أكثر من كتاب، وقد نقلت بعض الشهادات منها في كتابي "عبد الناصر بعيون فلسطينية"، وفي سيرته الذاتية يحدثنا أديبنا الأصيل الأستاذ حنا أبو حنا في كتابه "خميرة الرماد" عن تلك المرحلة وينقل لنا صورة واقعية بأسلوبه الأدبي الرفيع "لم يكن يسمع في تلك الأمسية غير صوته. كان ذلك الصوت قويا يملأ الساحات والشوارع والأزقة والسطوح والقلوب. توقفت الحركة في الشوارع وفي البيوت، في المدن والقرى.

منذ زمن تعوّد الناس على صوته يدخل الى بيوتهم، ينعش القلوب الذابلة الظامئة. يطوف بكل مكان دون تصريح من الحكم العسكري، وتتجه اليه بوصلة الأمل. انه أول زعيم في العالم العربي تنطق من حنجرته الكرامة، وينطق عن إباء، يتحدث باسم العروبة من المحيط الى الخليج، ويحس الناس بصدق نواياه. لم يعتادوا ذلك من أي زعيم من قبل. تحدث بلغة الجماهير وكانت خطبه حديثاً يحترم الجمهور ويشاركه في التفكير والمشاعر." (ص25)

هذه شهادة لشاهد عيان من فلسطينيي الداخل، تعكس محبة الشعب الفلسطيني المميزة لقائد العروبة الخالد جمال عبد الناصر. (يتبع)

شفاعمرو/ الجليل

العلاقة التاريخية
بين ثورة يوليو وعرب ٤٨

تميم منصور

من تبعات نكبة الشعب الفلسطيني ظهور سلسلة من الأسماء والاصطلاحات الجديدة داخل معاجم اللغة ومعاجم الجغرافية والتاريخ والسياسة، لهذه الأسماء معاني سياسية هامة يحملها الفلسطيني في قلبه خلال ترحاله وأماكن تواجده.

من هذه الأسماء والاصطلاحات (عرب ٤٨)، هذا ما يُعرّف به العرب الفلسطينيون الذين تشبثوا بتراب وطنهم بعد أن احتلته العصابات الصهيونية وأقامت كيانها السياسي فوقه، وهناك من يُعرّفهم "بالفلسطينيين داخل الخط الأخضر"، أي خط الهدنة الذي وافقت عليه الدول العربية سنة ١٩٤٩.

أما من يجهل ظروف وجود هؤلاء فيُعرّفهم "بعرب اسرائيل"، مع أنهم يرفضون هذه التسمية ويعتبرونها التفافاً حول هويتهم الفلسطينية لأن اسرائيل معنية بهذا الاسم وتعتبره بابا من أبواب الأسرلة والاندماج.

في الذكرى الثامنة والخمسون للثورة

كانت هذه الفئة حتى نكسة ١٩٦٧ مجهولة وضائعة بين كثبان النسيان والعجز العربي، وبين الهزيمة والصدمة التي سببتها النكبة.
عندما هربت الجيوش العربية التي جاءت لتسليم فلسطين وليس لتحريرها، تركت وراءها حوالي ١٥٠ ألف فلسطيني، معظمهم قرويون رفضوا الاقتلاع من أرض الوطن، رغم أن ملك الأردن عبد الله بن الحسين حاول اقناعهم وخداعهم للنزوح من وطنهم وارضاءاً لاسرائيل لكنهم رفضوا مطالبه لأن اسرائيل كانت تتمنى أن لا يبقَ عربياً في وطنه، وقد ذكر دافيد بن غوريون في مذكراته « كنت أتمنى أن أرى فلسطيني واحد يتنفس داخل فلسطين ».
هربت الجيوش العربية وتركت هؤلاء يواجهون مصيرهم، تركتهم رهائن بأيدي العصابات الصهيونية، ومنذ سنة ١٩٤٩ حتى سنة ١٩٦٧ عاشوا داخل غيتو اسرائيلي داخل قراهم، احاطتهم اسرائيل بستار حديدي سياسي واعلامي وثقافي واقتصادي، لم يسمع عنهم أحد تقريباً، غالبية الشعوب العربية لم تعرف بوجودهم وربما حتى اليوم، بذلت اسرائيل كل جهودها من خلال محاصرتهم لمصادرة هويتهم الوطنية والقومية والثقافية لكنها فشلت في ذلك باعتراف قادتها فقد احتفظ الفلسطينيون ممن يعرفون بعرب ٤٨ بعروبتهم وانتمائهم الفلسطيني بفضل مجموعة من الثوابت التي كانت متوفرة لديهم، في مقدمة هذه الثوابت ثورة يوليو في مصر وقائدها جمال عبد الناصر.
كانت هذه الثورة بالنسبة لهذه الشريحة الفلسطينية الشبه ضائعة الضوء الذي خفف من ظلمة النكبة، كانت مسيرة الثورة وتقدمها وانجازاتها السياسية والثقافية والاعلامية بمثابة المرشد والموجه لعرب (٤٨) كانت بالنسبة لهم بمثابة الصحافة اليومية يتابعونها من اذاعة صوت العرب والقاهرة ومن شاشة التلفزة المصرية.
كانت مسيرة الثورة وانتصاراتها بمثابة عناوين لكتب وموسوعات يطالعون صفحاتها يومياً، من هذه العناوين قوانين الاصلاح الزراعي واتفاقية الجلاء التي تعتبر نقطة تحول في تاريخ حركة التحرر العربية، ومن العناوين الهامة صرخة الاسكندرية يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ التي أعادت قناة السويس الى أبناء الشعب العربي في مصر بعد احتلال دام حوالي ستة عقود من الزمن، من العناوين أيضاً بناء السد العالي وتحرير الشعب المصري من التبعية والجهل والفساد والمحسوبية، هذا الى جانب النهضة الفنية والثقافية والاقتصادية، لكن تبقى أبرز هذه العناوين، ربط مصر بعجلة القومية العربية وتزعُمها لقيادتها وطرح افكاراً جديدة كالوحدة القومية والسياسية، ووحدة الهدف.
كانت الثورة بكل فعالياتها وتفاعلها مع الأحداث الحبل السري الذي أمد عرب ٤٨ بالأمل، كما أمدهم باليقظة القومية والوطنية وخفف من حصارهم وعزلتهم، كانت الأله التي استخدموها في التربية القومية خاصةً لدى الأجيال التي ولدت بعد قيام اسرائيل كما كانت الأله التي استخدمها أبناء عرب ٤٨ لمقاومة الأسرلة والابتعاد عنها، لأنهم وجدوا البديل والند القومي والوطني لهذه الأسرلة.
كانت الخطب التي القاها الرئيس الخالد جمال عبد الناصر طوال مسيرة الثورة مدرسة ومرجعية تحمل كل معاني قيم الحرية والاجماع القومي وكل الأبعاد الفكرية بمفاهيمها الفلسفية والبسيطة، عاش عرب ٤٨ مع تطورات الثورة بمدها وجزرها ساعةً بعد ساعةً ويوماً بعد يوم، اعتبروا انجازاتها وانتصاراتها أعياداً ونصراً لهم وللعرب جميعاً.
لم يتغير موقفهم وارتباطهم بالثورة بعد نكسة سنة ١٩٦٧، العكس هو الصحيح فقد تضاعف ايمانهم بزعيم الثورة جمال عبد الناصر وبقي بالنسبة لهم الرمز الذي يستحق ثقتهم، صورة معلقة على جدران كل منزل من منازلهم، لم يكن ذكرى قيام الثورة عيداً قومياً في مصر وحدها، لقد امتدت جذور هذه المناسبة ووصلت الى قلب كل فلسطيني من عرب (٤٨)، كان عيد الثورة عيداً لهم، يلزمون بيوتهم كي يعيشوا مع هذا الحدث التاريخي وما سيقوله الزعيم جمال عبد الناصر.
هذا يؤكد أن الثورة وقائدها لم يكونا ملكاً لمصر وحدها، بل ملكاً للعرب جميعاً وفي مقدمتهم الفلسطينيون.
بعد ردة السادات في كامب ديفيد وتأمره على الثورة وقيامه بتطويق مدها القومي، جاء من يعرفون بعرب (٤٨) الى مصر، يدفعهم الشوق كي يتلمسوا ويعانقوا وادي النيل ولكي يشاهدوا من بناه واقامه جمال عبد الناصر.
اليوم وقطار الثورة يتقدم فوق سكة الزمن ويقف في محطة الثامنة والخمسين لقيامها، لا زال عرب (٤٨) يعتبرونها مرجعيتهم القومية والوطنية الأولى، يتمسكون بمبادئها ومبادىء قائدها، أحزابهم القومية تفتح أرشيفاتها أمام الأجيال الشابة التي لم تعايش الثورة، هذا اضافةً الى اللقاءات والمهرجانات التي تقام بهذه المناسبة.
لكن من سخريات القدر أن يسمح نظام مبارك بالتطاول على قدسية هذه الثورة عندما يسمح لسفيره في تل أبيب اقامة احتفال بذكرى الثورة بحضور العشرات من القادة والزعماء اليهود الذين حاربوا الثورة وانجازاتها وتأمروا عليها وعلى قائدها، في مقدمة هؤلاء سفاح أطفال قانا في لبنان شمعون بيرس، وسفاح أطفال غزة ايهود براك وسفاح الأسرى من الجنود المصريين بينيامين بن اليعزر.

ثورة جمال عبد الناصر والعروبة

المحامي مصطفى عجم

حين يحضرنا الحديث عن ثورة 23 تموز عام 1952...في عيدها الثامن والخمسين... فنحن لا ننظر إليها كمجرد انقلاب عسكري عارض... كما يصوره بعض الذين تضرروا منها ... وليست ثورة 23 تموز ...نتيجة لاتفاق ضمني...بين ثوار يوليو والولايات المتحدة الأميركية ...لطرد بريطانيا من الشرق... وإحلال اميركا بدلا منها ! فثورة جمال عبد الناصر... حدث وطني وعربي على اكبر مستوى ... فهي من الناحية الوطنية – على المستوى المصري – أحدثت انقلابا اجتماعيا لصالح القوى الشعبية... فبقوانين الإصلاح الزراعي... وقوانين يوليو الاشتراكية ...اعيدت توزيع الثروة... بعد انتزاعها من بين أنياب طبقة النصف بالماية) تم توزيع حوالي مليون فدان على نصف مليون فلاح مصري مقابل ثمن مقسط على 30 عاما) وبتاميم قناة السويس وبناء السد العالي ... استعادت مصر

استقلالها الوطني وتحررها الاقتصادي...وعربيا دعمت الثورة توجهات عروبة مصر... ممثلة فى دعم حركات التحرر الوطني فى العالم العربي (ثورة الجزائر/ ثورة اليمن / ثورة العراق/ ثورة لبنان) وتحملت مصر عبد الناصر... نتائج مساندتها لهذه الحركات التحررية من الاستعمار الغربي (عدوان 56 / سحب تمويل السد العالي / عدوان 67) فالبعد العربي لمصر... واندماجها فى المنطقة العربية... لم يتبلور فى شكله ومضمونه ...إلا على يد جمال عبد الناصر ... حيث اصبح إتجاها عربيا شاملا ...يركز على وحدة الأمة العربية جميعا ... فعبد الناصر أعطى العروبة مضمونها القومي الشامل ...على أساس سياسي... معتبرا عروبة مصر " قدر ومصير وحياة "

قبل ثورة يوليو ...كانت توجهات مصر عربيا متحفظة إزاء الفكر القومي العربي ...أما مع ثورة جمال عبد الناصر...فقد أعطت لمصر الدولة ...الدور القيادي فى سياسة العالم العربي... وأصبحت الدائرة العربية... هى المحور الأول فى سياسة مصر الخارجية... كما حددها عبد الناصر فى كتابه " فلسفة الثورة ". وهذا المفهوم العروبى لثورة 1952... من أهم أسباب استمراريتها وانتشارها ...فثورة يوليو هى الثورة الوحيدة فى عالمنا العربي... التى انطلقت من مفهوم عروبى وقومي شامل... واستطاعت بذلك... الانطلاق... ليس الى رحاب الوطن العربي فحسب ...بل والى قلب الدائرة الأفروآسيوية... وحتى الى امريكا اللاتينية...(هوغوشافيز).

جمال عبد الناصر والاسلام

لم يساند جمال عبد الناصر جماعات وجمعيات دينية متعصبة كما فعل و يفعل البعض ... انما رفع راية الاسلام... دون عنف او تعصب لدين او لمذهب او لطائفة... فالرئيس جمال عبد الناصر... هو اول زعيم مسلم ... يتم فى عهده جمع القرأن الكريم مسموعا ...فى اسطوانات بصوت القراء المصريين...

وقام بتطوير الازهر الشريف... وجعل منه جامعة عصرية... وانشأ مدينة البعوث الاسلامية... تضم طلابا مسلمين من سبعين دولة اسلامية كى يتعلموا فى جامعة الازهر بالمجان... وتم ترجمة القرآن الكريم الى كل لغات العالم... وانشأ اذاعة القرآن الكريم ...وطبعت ملايين النسخ من القرآن... واهديت الى البلاد الاسلامية والمسلمين...فى افريقيا وأسيا وأوروبا ...كما تم طباعة كل كتب التراث الاسلامى فى مطابع الدولة... لتباع باسعار رمزية وفى متناول الجميع .. واصدر قانونا بتحريم القمار... كما اصدر قرارا باغلاق كل المحافل الماسونية... ونوادى الروتارى... والغى الدعارة التى كانت مقننة فى العصر الملكى... هذا ما قدم جمال عبد الناصر للاسلام والمسلمين فى عصره... وهو اعلى واغلى من اولئك الذين يتخذون من الدين تجارة وشعار...

جمال عبد الناصر وفلسطين

"عاش من أجل فلسطين ومات من أجلها"... هذا هو الشعار الذي رفعه شعب فلسطين ...عقب وفاة جمال عبد الناصر عام 1970.

ففي 28 أيلول 1970... رحل جمال عبد الناصر بعد أيام من الإرهاق والسهر المتواصل... لوقف شلالات الدم العربي المسفوك ... في شوارع الأردن آنذاك... بين الجيش الأردني والمنظمات الفلسطينية...ومن خلال جهد قام به

في الذكرى الثامنة والخمسون للثورة

الرئيس عبد الناصر ...لجمع القادة العرب في قمّة طارئة بالقاهرة...

لقد أدرك عبد الناصر... الهدف الحقيقي من حرب 1967 والذي أشار إليه وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك موشي ديان... والرئيس الأميركي السابق جونسون... بضرورة تخلّي مصر عن دورهاالعربي... وإعادة سيناء لها مقابل ذلك...فرفض عبد الناصر استعادة الأرض عن طريق عزلة مصر... وتعطيل دورها العربي التاريخي ...

وجاء أنور السادات بعده... ليحقّق المطامح الدولية والإسرائيلية في مقايضة الأرض بالعزلة... عن طريق معاهدة كامب ديفيد...

عبد الناصر أدرك مخاطر الصراعات العربية/ العربية... التي كانت سائدة قبل حرب ال 67 فأوقف تدخل الجيش المصري في اليمن... وأقام "تحالف قوى الثورة مع الثوة العربية/ تحالف قوةالمدفع مع النفط العربي" والذي تأكّدت أهميّته في حرب تشرين التحريرية عام 1973...

واليوم... نجد أنّ تعطيل دور "المدفع" العربي في المعركة مع العدو الإسرائيلي... لم يحقّق الأمن والسلام للعرب... بل برّر للقوى الدولية الكبرى ...العودة إلى السيطرة على المنطقة... من الباب الأمني الواسع... والذي ما زال مشرّعاً على مصراعيه...والمثال الفصرخ هو العدوان الاستعماري على العراق الشقيق ...فقد احتلت ارضه ...ونهبت ثرواته ويحاولون اليوم... تدمير كيانه الوطني وتقسيمه...

لقد ادرك عبد الناصر بعد حرب عام 1967 ...أهميّة وجود كيان فلسطيني مقاتل... فدعم انطلاقة الثورة الفلسطينية... وقيادتها لمنظمة التحرير الفلسطينية... رافضا اقامة فصيل فلسطيني" خاص تابع له (كما فعلت حكومات عربيّة أخرى) انطلاقاً من حرصه على وحدة الشعب الفلسطيني... و توحيد جهوده... من أجل استعادة وطنه... كما اكّد عبد الناصر بعد حرب عام 1967... حرصه على تعميق الوحدة الوطنية في كلّ بلد عربي... وعلى رفض الصراعات الجانبيّة المحليّة... التي تخدم العدوّ الإسرائيلي (كما فعل في تدخله لوقف الصراع الداخلي في لبنان عام 1968 بعد صدامات المنظمات الفلسطينية مع الجيش اللبناني)

لقد رفض جمال عبد الناصر. إغراءات التسوية كلّها مع إسرائيل... بما في ذلك العرض الأميركي/الإسرائيلي له بالانسحاب الكامل من كلّ سيناء ...مقابل عدم تدخّل مصر في الجبهات

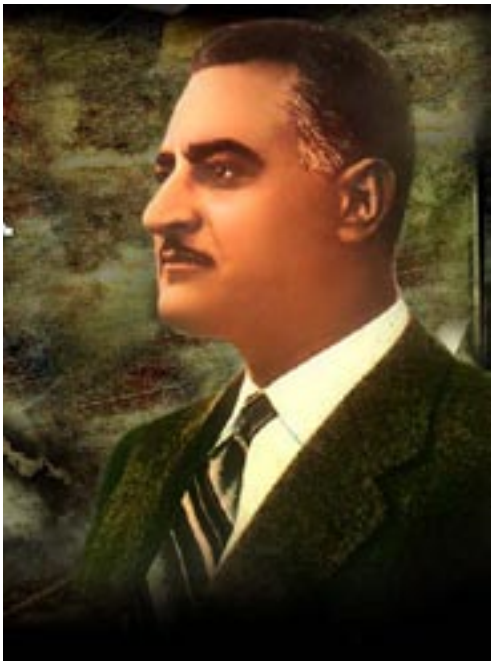

العربية الأخرى... بينها وبين إسرائيل... وكان جمال عبد الناصر يردّد "القدس قبل سيناء... والجولان قبل سيناء... ولا صلح ولا اعتراف بإسرائيل ما لم تتحرّر كلّ الأراضي العربية المحتلّة عام1967... وما لم يحصل الشعب الفلسطيني على حقوقه المشروعة.

ولعل انتصار المقاومة اللبنانية بإجبارها إسرائيل... على الانسحاب من جنوب لبنان... مساوياً في قيمته وأهمّيته، لما قام به جمال عبد الناصر بعد هزيمة عام 1967... من حيث إعادة الاعتبار لحقّ المقاومة المشروعة... ضدّ الاحتلال... وفي تصحيح مسار الواقع العربي ...لجهة التعاطي مع العدو الاسرائيلي... حيث تاكد أنّ "الأرض هي مقابل المقاومة" وليست الارض مقابل السلام والتطبيع مع هذا العدوالغاصب المحتل...

جمال عبد الناصر والعدالة الاجتماعية

هل يمكن لمحروم من حقوقه الاجتماعية... أن يكون مواطنا صالحا في المجتمع ؟؟؟ وهل يمكن أن نسلم بان هذا المواطن المحروم يتمتع بالحرية... ويحيا في مناخ ديمقراطي... يمنحه حرية المشاركة وحسن الاختيار ؟ ؟ هل هناك ديمقراطية سياسية بدون عدالة اجتماعية ؟؟؟

ان المعنى الشائع للعدالة الاجتماعية... أن يأخذ كل فرد ما يستحقه... من خلال توزيع عادل للثروة الوطنية ... والعدالة الاجتماعية قيمة أخلاقية... قبل أن تكون نظاما اقتصاديا... يذيب الفوارق بين الافراد... والمجتمع الذي يتمتع بالعدالة الاجتماعية... دائما يكون مجتمعا قويا سليما منتجا... تسود روابط المحبة والسلام بين فئاته... دون تفرقة بسبب العرق والدين... والعدالة الاجتماعية نظام اقتصادي ...لأنها تعمل على حصول كل إفراد المجتمع... لحقوقهم من العوائد الاقتصادية ...من خلال التوزيع العادل للدخل القومي... مع توفير فرص متكافئة للجميع... فى التعليم والطبابة والعلاج... والحصول على فرص عمل مناسبة .... ومن قراءة التاريخ نرى أن عدم وجود العدالة الاجتماعية.... كان المحرك الاساسى لكل الصراعات داخل المجتمعات الكبرى... التى غيرت مجرى التاريخ ...من هذه المسلمات انطلق جمال عبد الناصر في توفير العدالة الاجتماعية للشعب، بدلا من مجتمع النصف فى المائة الذى يتملك كل الأراضى الزراعية والشعب كله معدم وأجير وبدأت الثورة فى تنفيذ قوانين الاصلاح الزراعى بتحديد الملكية ب200 فدان ومائة فدان للابناء وتوزيع الأراضى على الفلاحين ، وقد لاقى هذا القانون رفضا ولكن عبد الناصر تمسك به الى أقصى حد وقال انه الوسيلة الوحيدة لتحرير الفلاح، والفلاح لابد ان يكون مالكا حتى يصبح حرا وعندما يكون حرا يستطيع ان يقول نعم وان يقول لا .

وكان لبناء السد العالى ايضا فوائد كثيرة في استحداث شبكة امان اجتماعي، فقد حمى مصر من أخطار الفيضان وضاعف من التيار الكهربائى لمواجهة حركة التصنيع الكبيرة التى انتشرت فى فى بقاع مصر كما أضاف اليها مليونا ونصف المليون فدان من الاراضى الزراعية وتجاوز سنوات الجفاف .وتحويل نظام الرى من الري بالحياض الى الري الدائم .

و توالت بعد ذلك منظومة الاجراءات التى تهدف الى مواجهة الفقر والجهل والمرض حيث كان تمصير البنوك وشركات التأمين الاجنبية ثم عمليات التأميم الواسعة المتمثلة فى قوانين يوليو الاشتراكية عامى 1961 و1964 لقطاعات واسعة فى المجالات الصناعية والتجارية والخدمية واشراك العمال فى مجالس ادارتها ثم بدأت انشاء سلسلة من المصانع العملاقة كمصانع الأسمدة ومجمع الألمنيوم ومصانع الحديد والصلب ومصانع الأسمنت. كما اهتمت الثورة بالتعليم وبناء المعاهد والجامعات ومجانية التعليم التى فتحت الباب واسعا أمام جميع ابناء الشعب المصرى للمشاركة فى بناء نهضة علمية وتعليمية غير مسبوقة فى التاريخ المصرى المعاصر . وفى مجال الصحة سعت الثورة الى توفير الرعاية الصحية لأكبر عدد من المواطنين وذلك لتحقيق التنمية الشاملة والمتواصلة

في الذكرى الثامنة والخمسون للثورة

وتحسين نوعية الحياه حيث زاد ت اعداد المستشفيات فى كل المحافظات وايضا عدد الأسرة ..

واختم كلمتي بهذه المناسبة الغالية على قلوب كل العرب... بدعاء تضرع فيه جمال عبد الناصر الى الله عز وجل... عند توقيعه اتفاقية جلاء الاحتلال البريطاني عن مصر عام 1954قائلاً:

"اللهم أعطنا الأمل... الذي يجعلنا نحلم بما سوف نحققه في الغد... أكثر مما يجعلنا نفاخر بما حققناه في الأمس واليوم.

"اللهم أعطنا الثقة بأنفسنا... لنرى أننا على بداية الطريق ...وأن الشوط أمامنا شاق طويل.

"اللهم أعطنا الشجاعة ...لنستطيع أن نتحمل المسؤوليات... التي لابد أن نتحملها... فلا نستهين بها ولا نهرب منها.

"اللهم أعطنا القدرة ...على أن نواجه أنفسنا ... ونتقبل أن يواجهنا الآخرون ...بالحق والعدل.

"اللهم أعطنا القوة... لندرك أن الخائفين لا يصنعون الحرية... والضعفاء لا يخلقون الكرامة... والمترددين لن تقوى أيديهم المرتعشة ...على التعمير والبناء.

عن ذكرى ثورة 23 يوليو1952

أبوفادي

كلما اقتربت ذكرى ثورة 23 يوليو 1952 أجد نفسي مدفوعا للكتابة عن الثورة وعن عبد الناصر السياسي والقائد والبطل والزعيم والإنسان و تعودت أن اطرح هموم الأمة من خلال رسائل رمزية للقائد والزعيم جمال عبد الناصر أتناول فيها ما اعتقد انه الطريق للحرية والاشتراكية والوحدة في هذا الظرف الدولي والإقليمي والعربي. رسائل بلغ صداها جل البلاد العربية من خلال نشرها على صفحات بعض المواقع الالكترونية استحسانا من طرف البعض ونقدا أو انتقادا من طرف البعض الآخر ولكل رأيه وفهمه ولكن الطريف أن البعض تعامل معها على طريقة شيخنا الذي رد على كتاب الطاهر الحداد "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" بقوله "هذا على الحساب إلى ا ن أقرأ الكتاب". غير أن أطرف سؤال واجهني هو "لماذا لا تكتب عن الثورة وعن عبد الناصر إلا إحياء لذكرى ثورة 23 يوليو أو ردا على حقد احمد منصور الذي قهرته الثورة وانجازاتها الشعبية. أليس للثورة مناسبات وانجازات وانتصارات عديدة تستحق أن تتناولها وتذكر بها الناس؟ هناك ذكرى مولد عبد الناصر وذكرى رحيله وبناء السد العالي وتأميم قناة السويس وذكرى الوحدة والانفصال والقائمة تطول. لماذا تقتصر على ذكرى الثورة ؟هكذا يقول البعض.

قلت أنا اكتب عن زعيم اسمه جمال عبد الناصر ولا اكتب عن سلطة وأجهزة كانت تحت إمرة عبد الناصر وأنجزت تحت قيادته ما أنجزت وارتكبت من الأخطاء والكوارث ما ارتكبت.

اكتب عن جمال عبد الناصر الذي معه ارتفعت أهداف النضال القومي في الحرية والاشتراكية والوحدة لأول مرة وخاضت الأمة تحت لوائها معارك عديدة واستمرت بعد أن رحل عبد الناصر الإنسان إلى جوار ربه وإن في سن مبكرة. إنها إرادة الله التي لا راد لها ولعله حمي عبده جمال عبد الناصر من أرذل العمر. وإن كنت لا أتحكم في دموعي إلى اليوم كلما شاهدت جنازة عبد الناصر فإنني لا أميل لمناسبات الميلاد ولا الرحيل لأنها أولا وأخيرا تعني الإنسان والشخص لا الزعيم والقائد والأفكار والفرق بين الاثنين عندي كبير.

في تقديري هناك أربع قرارات خطيرة اتخذها جمال عبد الناصر ولم تتخذها الحكومة المصرية ولا الأجهزة ولا حتى المقربون من جمال عبد الناصر وان ساندوه ووقفوا إلى جانبه. القرارات الأربع هي الأهم في حياته كقائد سياسي وكزعيم قومي ورمز اممي في الصراع ضد الهيمنة والاستعمار والامبريالية. كل القرارات الأخرى على أهميتها لا ترتقي في تصوري الى مستوى القرارات الأربع.

1 - اول القرارات وأخطرها على الاطلاق كان قرار القيام بالثورة واسقاط النظام الفاسد في مصر. لقد عايش عبد الناصر أحوال شعبه منذ نعومة أظافره وعاش هموم أمته في حرب فلسطين وحصار الفالوجة وتطورت قناعة بالحاجة للتغيير عن

في الذكرى الثامنة والخمسون للثورة

طريق الثورة كما ترسخ لديه استعداده للتضحية وكان قرار القيام بثورة ترفع شعار "ارفع راسك يا أخي" و"لا ظلم بعد اليوم" يتطلب قدرا كبيرا من الالتزام والوعي والتضحية بالنفس والروح. لقد كان الرجل على استعداد ان يضحي باغلى ما عنده في سبيل شعبه وامته وقد حمل نعشه على كفه وسار لا شيء يحميه غير نجاح الثورة. كان ولسنوات طويلة يعد الضباط الاحرار لليوم الموعود يعيش الخطر في كل لحظة ومعرض للموت في كل ثانية ومع ذلك استمر حتى انجاز مهمته التي آمن بها. كان عبد الناصر يدرك قبل غيره ان ما ينتظره من عمل وجهد بعد إسقاط الملك اكثر بكثير من معاناة الاستعداد للثورة وهو ذلك استمر وسار في طريق الثورة التي غيرت وجه مصر والمنطقة والعالم. تصوروا لو ان ثورة يوليو لم تقم أو أنّ قائدها لم يرفع شعاراتها الخالدة. لانها ثورة عظيمة وخالدة بما انجزته وما رفعته من شعارات وبرامج وتركته من خيارات وبدائل اعتبر ان قرار القيام بها كان اخطر قرار اتخذه قائدها على الإطلاق.

2 - القرار الثاني الخطير والهامّ والتاريخي الذي اتخذه جمال عبد الناصر كقائد وزعيم ورمز كان بالتأكيد قرار تأميم قناة السويس رغم معارضة بعض رفاقه وتهديدات القوى العظمى في تلك المرحلة . كان قرار التأميم قرارا خطيرا وتحديا عظيما لأن عبد الناصر قرر من خلاله أمرين هامين يتمثل الأول في الارتقاء بالصراع مع قوى الهيمنة والاستعمار واعوانهم في المنطقة إلى مرحلة ارقى من خلال الاشتباك على طريق التحرر وطرد المستعمر والأمر الثاني السيطرة على مقدرات الشعب التي تنهبها القوى الاستعمارية والشركات متعددة الجنسية انطلاقا من إيمانه بان الاقتصاد عمود الاستقلال و التحرر وان لا استقلال لشعب يأكل من وراء البحر. جمال عبد الناصر كان يدرك أهمية قراره وخطورته وقد استشار العديد من الشخصيات السياسية والاقتصادية والفكرية في مصر ثم اتخذ قراره لإدراكه أن الثمن الذي يمكن أن تدفعه مصر اقل بكثير مما ستجنيه من وراء تأميم قناة السويس. لم يكن الرجل مغامرا ولا يتخذ قراراته خارج تأثير العقل ولكنه كان يدرك أن المعركة مع الاستعمار تمر عبر ضرب مصالحه ومراكز نفوذه وكانت قناة السويس احد أهم مصالحه في المنطقة.وليعلم الجميع أن معركة السويس كانت حاسمة في تغيير العلاقات الدولية بل لعلّها الحدث الثالث بعد الحرب العالميّة الثانية ومشروع مارشال التي غيرت وجه العالم.ماذا لو أن جمال عبد الناصر اخذ بنصيحة بعض رفاقه ولم يقدم على تأميم القناة. هل كان بالإمكان أن يخوض المعركة مع الاستعمار ويحرر مصر والجزائر واليمن

وغيرها.

3 - القرار الثالث الذي اتخذه جمال عبد الناصر ويكتسي أهمية كبرى كان قراره بعدم مواجهة الانفصاليين الذين استولوا على السلطة في الجزء الشمالي للجمهورية العربية المتحدة . كان بإمكان عبد الناصر تحريك الجيش وإلقاء القبض على العصابة ومحاكمتها بتهمة الخيانة العظمى ولكنه لم يكن مغامرا كغيره ويتخذ قراراته من موقع المسؤولية السياسية والتاريخية والقومية. كان يؤمن أن الوحدة ستحصل يوما ما ولم يكن على استعداد ان يستعمل السلاح في وجه أهله وأبنائه الذين حملوا سيارته يوم زار دمشق. لم يأت حاكما ولا سلطانا ولا غازيا بل جاء موحدا وداعيا للنهوض والثورة. لم يكفر عبد الناصر بالعروبة كما كفر بها البعض ممن سبقه أو حل بعده رغم الانفصال الذي ترك جرحا في النفس لم يشف منه إلى يوم وفاته. اننا ورغم إيماننا بالوحدة فإننا نعتبر أن قرار عدم مواجهة الانفصاليين كان يتسم بحكمة كبيرة وبقدر عال جدا من الوعي والمسؤولية ووضوح الرؤية لدى عبد الناصر لذلك نعتبره من اخطر القرارات التي اتخذها الرجل في حياته.

4 - القرار الرابع والأخير الذي اتخذه عبد الناصر كان قرار التنحي بعد هزيمة 5 جوان 1967 لقد وقف الرجل ليقول لأمته وشعبه انه يتحمل المسؤولية الكاملة عما جرى وانه يتنحى عن كل مسؤولياته ويعود لصفوف الشعب كأي مواطن. هذا القرار إضافة لتحمله المسؤولية يدل على علاقة عبد الناصر بالحكم والسلطة. كان بإمكانه تحميل القيادة العسكرية المسؤولية ومحاكمتها واللعب على الشعب بخطاب شعبيّ كما يفعل غيره ولكن مستوى صدقه مع شعبه حال دونه ودون ذلك. لم نسمع في البلاد العربية ان مسؤولا واحدا استقال من منصبه بعد هزيمة ما أو فشل أو غيره ولا حتى وزير أو رئيس مؤسسة. الخطأ دائما يتحمله الآخرون أما نحن فلا يأتينا الباطل من بين أيدينا ولا من خلفنا. وحده عبد الناصر خالف القاعدة القديمة المتجددة لأنه لم يكن يرغب في البقاء في الحكم كغيره حتى الموت ولم يكن يخطط لتحويل الجمهورية إلى ملوكية ولا أن يستمر في الحكم مدى الحياة وكان كل أمله أن يغادر منصبه يوما وقد ذكرت كتب التاريخ انه كان يمني السيدة قرينته بجولة حول الكثير من دول العالم حين يترك منصبه.صحيح ان الموت كان اقرب ولكن حياة عبد الناصر وعلاقة أبنائه وزوجته وأقاربه بالحكم والسلطة والمال والأعمال توضح بلا أي لبس عن طينة الرجل وموقفه من المناصب . رحل عبد الناصر وعليه دين لأمير عربي وليس في حسابه أكثر من 12 جنيه وهذا وحده يكفي للتدليل على مكانة الحكم في فكر وسلوك عبد الناصر. قرار التنحي كان قرارا خطيرا لأنه وضع الرجل في مقام الكبار ورفع من شأنه ومقامه بين الأهل والأصدقاء والأعداء وهو ما يجعله خارج المقارنة مع الكل في بلادنا العربية

بالتأكيد اتخذ جمال عبد الناصر قرارات أخرى كثيرة وهامة ولكن هذه الأربع قرارات هي الأهم و الأخطر على الإطلاق. قد لا يتفق معنا البعض أو يناقشنا البعض الآخر وهذا من حق الجميع ولكننا وعلى خلفية فهمنا بالنضال والالتزام والحكم والسلطة نعتبر أن هذه هي القرارات التي سمت بعبد الناصر إلى مستوى الريادة والقيادة والزعامة العربية كما جعلت منه رجل دولة من الطراز العالي ورمزا امميا لمقاومة الاستعمار وكونها أيضا برهنت ان الحكم والمركز والنفوذ لم يغيّروا من عبد الناصر الإنسان فبقي زاهدا تقيا متشبعا بأخلاقه العربية الإسلامية ملتزما بقضايا أمته وشعبه وفيا لأصدقائه في العالم وهذه من شيم الكبار.

عبد الناصر والإسلام

د. أسعد السحمراني

تمهيد: إن طرح الموضوع دافعه تلك الحملات من التشويش والتشهير التي قام بها بعضهم في حياة جمال عبد الناصر أو بعد وفاته، وهؤلاء إما منتمون لحركات وأحزاب تدعي أنها الممثل الوحيد للإسلام، وأن ما تطرحه هو الأساس المحوري لكل فكر وموقف، وأبرز هؤلاء حركة الإخوان المسلمين، وإما مرددون للمواقف قرأوا دون تمحيص أو سمعوا من أشخاص فحملوا الكلام دونما مراجعة نقدية، وهم غافلون عن التوجيه الرباني الذي جاء في قوله تعالى: "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين".

ومتابعة مواقف جمال عبد الناصر، وإجراءاته العملية وما نفّذه من مشاريع – خاصة في رحاب الأزهر الشريف – تبيّن أن البعد الإيماني كان حاضراً في كل هذه المواقع، وأن المسار الحضاري كان جلياً عنده، والذي يؤكد على دور الإسلام في صياغة شخصية الأمة العربية وهويتها حضارة ولغة وتاريخاً وقيماً..الخ.

الإسلام في نصوص جمال عبد الناصر:

إذا كان "الميثاق الوطني" الذي أعلنه جمال عبد الناصر في شهر أيار/ مايو من العام ١٩٦٢ الوثيقة الأساس في فكرة ثورة ٢٣ تموز/ يوليو فإن نصوص الميثاق جاءت مؤكدة على العام الإيماني، والعامل الإسلامي في تكوين الأمة العربية، وفي فكر الشعب العربي واهتماماته وحركته النضالية.

كان جمال عبد الناصر يتحدث عن المشروع الثوري في "الباب الأول من الميثاق" فبيّن فيه أبرز خصائص هذا المسار النضالي الثوري، وكان قوله: "إيمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التي بعثها بالحق والهدى إلى الإنسانية في كل زمان ومكان".

هذا الموقف مستفاد من قوله تعالى: و"المؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله"، وأن رسول الله جاء بالإسلام للعالمين وللناس كافة.

كما أن المعلوم بأن الأرض العربية هي مهد رسالات السماء، وأرض المقدسات، ولها دور رسالي في نشر الهدي الإلهي، واستجابة لهذه الحقيقة قال عبد الناصر في "الباب العاشر من الميثاق": "إن شعبنا يعتقد في رسالة الأديان، وهو يعيش في المنطقة التي هبطت عليها رسالات السماء".

جاء الإسلام والأمة العربية ينتظم مجتمعها على شكل إمارات وقبائل أو مواقع يسيطر عليها مستعمرون كالفرس والروم وسواهم، فكان مع الإسلام النسيج الوحدوي والتحرري، واكتملت شخصية الأمة بفضل الإسلام حيث توحدت اللغة ومسار التاريخ الواحد، وتأصلت القيم، وانتفت الحواجز وأشكال الإحتلال الأجنبية، فكانت الوحدة، قال عبد الناصر في خطاب أمام مجلس الأمة في ١٩٥٨/٢/٥: "واتحدت المنطقة بسلطان العقيدة حين اندفعت تحت رايات الإسلام تحمل رسالة السماء الجديدة – الإسلام – وتؤكد ما سبقها من رسالات وتقول كلمة الله الأخيرة في دعوة عبادة إلى الحق".

عندما أطلقت الدعوة من شبه الجزيرة العربية بعث الإسلام الروح في جسد الأمة العربية، وكان لمصر منذ الفتح موقع ودور، وقد تعاظم هذا الموقع وهذا الدور بعد الأزهر الذي شكّل ولا يزال منارة مميّزة في الوطن العربي، والعالم الإسلامي، والعالم أجمع. قال عبد الناصر في "الباب الثالث من الميثاق": "وكان الفتح الإسلامي ضوءاً أبرز هذه الحقيقة وأثار معالمها وصنع لها ثوباً جديداً من الفكر والوجدان الروحي، وفي إطار التاريخ الإسلامي، وعلى هدى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، قام الشعب المصري بأعظم الأدوار دفاعاً عن الحضارة الإنسانية.. ثم كان قد تحمّل المسؤولية الأدبية في حفظ التراث الأدبي العربي وذخائر الحافلة، وجعل من أزهره الشريف حصناً للمقاومة ضد عوامل الضعف والتفتت".

هكذا رسم عبد الناصر لمصر وللأزهر الشريف الدور

– هو ما يصح على كل قطر ومؤسسة إسلامية

– أنه دور الدعوة، ودور الجمع لا التفريق، ودور بثّ روح الجهاد والمقاومة ودق النفير في شعب الأمة، مع حفظ التراث، وبعث ثورة الأمة، وهو الدور الذي نحتاجه هذه الأيام أمام المخاطر والتحديات.

ويكمل عبد الناصر في طرح ما هو ضروري للعرب والمسلمين في حياته، وفي يومنا هذا حيث يشخص الواقع ويقترح العلاج، ومن هذا القبيل كان ما ورد في خطاب له أمام المؤتمر العربي الإسلامي في ١٩٥٣/٨/٢٦، ومما قاله: "ثم أصيب الإسلام بأكبر ضربة في صميمه، وهي تفرّق المسلمين شيعاً وأحزاباً، فبدأت كتلة الإسلام والعرب تتفكك، وقوتها تتحطم، وما بينها من روابط تتزعزع، فتسرّب إليها الضعف، وتألبت عليها الدول، وتآمرت عليها قوى الشر، وأعلنتها عليها حرباً بعد طول انتظار، فتمكنت منها في ضعفها،

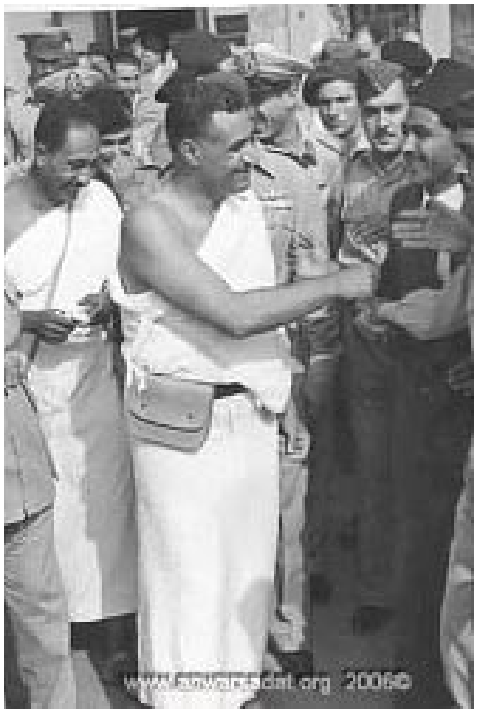

وتحكمت فيها في محنتها، فإذا بهذا البناء الشامخ يرزح تحت نير الإستعمار والإستعباد. وإذا بالعرب والمسلمين في كل دولة يستسلمون للذل والطغيان، ويستكينون للمهانة والإستبداد، وإذا بهم رحماء على العدو والمستعمر، أشداء على أنفسهم، ويصلون في عدوانهم إلى محالفة العدو وخيانة دينهم وأوطانهم.

.. يجب أن نعرف أن العالم العربي والعالم الإسلامي يقفان اليوم أمام عدوّ واحد، ويتهاويان أمام مرض واحد. أما عدوّنا فهو الإستعمار، وأما مرضنا فهو الفرقة والتخلي عن الجهاد في سبيل الله.. كما يجب أن يؤمن العرب والمسلمون بأن عهد اللغو والكلام قد انقضى، وأن عهداً جديداً يجب أن يبدأ، عهداً قوامه إيمان بالله، وعماده العمل في سبيل الله".

لم يترك عبد الناصر مناسبة دينية إلا عمل على الوقوف أمامها لأخذ الدروس والعبر، ولشحذ الهمم، واستلهام القيم والمبادىء السامية، وقد كان من ذلك خطابه بمناسبة عيد الأضحى المبارك بتاريخ ١٩٥٣/٨/١٩، والذي قال فيه: "إننا أشدّ ما نكون حاجة للمبادىء السامية والمثل العليا التي تقوم عليها أعيادنا، ونحن نجتاز معركة تحرير البلاد، فإن كنا قد احتفلنا بعيد الفطر المبارك عيد الصوم والصبر والجهاد فإننا نحتفل اليوم بعيد الطاعة والتضحية. هذا العيد الذي يحمل

في الذكرى الثامنة والخمسون للثورة

معنى التضحية بالمال والنفس والروح في سبيل الله.

فاليوم إذا كنّا نجتاز محنة قاسية أو معركة عنيفة في سبيل تحرير بلادنا بل العالم العربي من قوى الشيطان وبطش الإستعمار وقسوته، وظلم الإستعباد وهوانه، فتلك سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلا. هذا هو البلاء المبين الذي إن صدقتم الله فيه وجاهدتم في سبيله ونصرتموه فسينصركم الله نصراً عزيزاً وستشرق الأرض بنور ربها".

بهذه الروح الذاخرة بالإيمان تحدّث عبد الناصر عن الجهاد وضرورة استنهاض الأمة مع تأييد الله تعالى، لأن ذلك سبيل النصر على الأعداء. وإذا كان عبد الناصر قد أخذ العبرة في النص السابق من فريضة الصوم وبعدها عيد الأضحى وما يحمل من معاني الفداء، فإنه عندما تحدث عن الدائرة الإسلامية ورابطة العقيدة في كتاب: "فلسفة الثورة"، حاول أن يؤكد على ما فعله الحج بوصفه فريضة جامعة ومناسبة يتلاقى فيها المسلمون من كل بقاع الأرض، وكيف أنهم يستطيعون من خلال تفاعلهم، وحشد طاقاتهم، ومع احترام الخصوصية الوطنية لكل منهم، أن يردّوا العدوان والتحديات، ويصنعون النصر وأسباب التقدم والتنمية.

قال جمال عبد الناصر: "يجب أن تكون للحج قوة سياسية ضخمة، ويجب أن تهرع صحافة العالم إلى متابعة أنبائه، لا بوصفه مراسم وتقاليد تصنع صوراً طريفة لقرّاء الصحف، وإنما بوصفه مؤتمراً سياسياً وتقاليد يجتمع فيه كل قادة الدول الإسلامية ورجال الرأي فيها، وعلماؤها في كافة أنحاء المعرفة وكتّابها، وملوك الصناعة فيها، وتجارها، وشبانها، ليضعوا في هذا البرلمان الإسلامي العالمي خطوطاً عريضة لسياسة بلادهم وتعاونها معاً، حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام.

يجتمعون خاشعين ولكن أقوياء، متجردين عن المطامع ولكن عاملين، مستضعفين لله لكن أشدّاء على مشاكلهم وأعدائهم، حالمين بحياة أخرى، لكن مؤتمنين أن لهم مكاناً تحت الشمس عليهم احتلاله في هذه الحياة.

حين أسرح بخيالي إلى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة، أخرج بإحساس كبير بالإمكانيات الهائلة التي يمكن أن يحققها تعاون بين هؤلاء المسلمين جميعاً، تعاون لا يخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصلية بالطبع، ولكنه يكفل لهم ولإخوانهم في العقيدة قوة غير محدودة". لقد فهم جمال عبد الناصر الإسلام على أنه مبادىء ومنطلقات لمسيرة الحياة الصحيحة، وليس مجرد شعائر لا يدرك بعض من يؤدونها أبعادها، وانتقل عبد الناصر بعدها إلى التنبيه من الإنتهازين والذين يمارسون الإستغلال باسم الدين لمصالح خاصة وشخصية. في كلمة ألقاها أمام أئمة المساجد في ١٩٥٤/١١/٩ قال جمال عبد الناصر: "وكنت أشعر في الوقت نفسه بأن الإسلام يطلب من أهل العلم أن يعلموا ويعملوا ليسيروا بهذه الدعوة في طريق الحق، وينقذونها من نهازي الفرص الخادعين المضللين. وهذه هي رسالتكم أمام الله وأمام الوطن. ولن يترك الإسلام أبداً لتلك الفئة من نهازي الفرص وأنتم تحملون أمام الله هذه الرسالة رسالة نشر الوعي وإنقاذ الدين من هذا الخداع ومن ذلك التضليل".

وإذا كان جمال عبد الناصر قد أكد على دور الإسلام وعمق معاني شعائره عبادة وعملاً فإنه لم ينس الوحدة الوطنية والعيش الإسلامي المسيحي، ومما قاله في ١٩٥٣/٨/١٥ في كلمة في مطرانية الاقباط في بني سويف: "لقد أحببت أن أقول كلمة مواطن لأننا سواء في هذا الوطن لا فرق بين مسلم وقبطي، ولأن رصاصة العدو لا تتجه إلى قلب مسلم أو قبطي فحسب وإنما تتجه إلى قلب كل مواطن: فإننا كلنا أبناء وطن واحد، وإذا ارتقى هذا الوطن فسنرتقي وإذا انتكس هذا الوطن فسننتكس ولهذا ندعو دائماً للإتحاد".

كما أكد عبد الناصر أهمية الإيمان في شحذ العزائم من أجل صنع النصر والتقدم، ومن ذلك كان قوله في خاتمة "الميثاق الوطني": "إن شعبنا يملك من إيمانه بالله وإيمانه بنفسه ما يمكنّه من فرض إرادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه".

الإسلام في ممارسات جمال عبد الناصر:

ليس البحث بصدد السلوك الشخصي فهذا أمر معلوم من السيرة والوثائق فعبد الناصر أدى فريضة الحج أكثر من مرة وكان يؤدي كل فروضه ويتجنب كل ما هو حرام وينأى بنفسه عنه وأبرز دليل أنه يوم وفاته كان يحمل في جيبه ٣٠ جنيهاً، وأنه كانت قد بقيت عليه أقساط لأحد البنوك من المبلغ الذي بنى به مسجد منشية البكري الذي تمّ دفنه بجواره. لكن ما سيتم عرضه هو الإجراءات ذات الطابع العام والمواقف التي كانت لها ثمار طيّبة بالنسبة للإسلام، منها:

القانون رقم (١٠٣) لعام ١٩٦١ بشأن تطوير الأزهر الشريف وزيادة مؤسساته، وكان ذلك في ولاية الإمام الأكبر المرحوم محمود شلتوت وبموجب هذا القانون تمّ تحويل الأزهر إلى جامعة كبيرة تأخذ بالنظم التعليمية الحديثة، وباتت جامعة الأزهر على قسمين: قسم للذكور وآخر للبنات، وأصبح فيها بالإضافة إلى كليات الشريعة وأصول الدين والدراسات الإسلامية والدعوة واللغة العربية كليات أخرى في تخصصات الطب والهندسة والصيدلة والحاسوب (الكومبيوتر) واللغات والحقوق والإعلام وسائر الإختصاصات، وفي كل هذه الإختصاصات يعطى الطالب مقررات في العلوم الإسلامية واللغة العربية، وتعملقت جامعة الأزهر وتوزعت كلياتها في معظم المدن والمراكز في مصر.

وكانت مؤسسة مدينة البعوث، وهي مدينة جامعية لسكن الطلاب الوافدين من عشرات الدول يدرسون بمنح من الأزهر ووزارة الأوقاف ولا تزال مدينة البعوث تقوم بدورها إلى يومنا هذا وتضم حالياً ما لا يقل عن ٤٠٠٠ طالب.

كما انطلق "مجمع البحوث الإسلامية" بناء لرغبة الإمام شلتوت وهو هيئة للبحث والفتوى تضم خمسين عضواً يكون عشرون منهم من غير المصريين، ويكونون من تخصصات متنوعة، وعنهم تصدر الفتاوى والمواقف في القضايا الرئيسة.

هذا بالإضافة إلى تطوير المعاهد الأزهرية في مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي.

ومن الإجراءات الدعوية المهمة تعزيز بعثات الأزهر الشريف إلى خارج مصر حيث كان يتم ابتعاث العلماء للخطابة والوعظ والتدريس في معاهد وجامعات في دول عربية وإسلامية.

ومن الإجراءات افتتاح مراكز ثقافية للدراسات الإسلامية والعربية في دول أوروبية وأمريكية وآسيوية وأفريقية وعلى سبيل المثال هناك في مدريد – إسبانيا مركز ثقافي لا يزال ناشطاً لدرجة أنه ينشر بعض المؤلفات ويعقد الندوات وموقعه مشهور. وقد كان للبعثات الأزهرية والمراكز الثقافية دور مميّز في نشر الإسلام والعربية في مواقع كثيرة خاصة في الوسط الأفريقي وهو أمر يعرفه كل من زار هذه البلدان أو أجرى دراسات حولها.

واستطاع عبد الناصر تعزيز الوجود الإسلامي في مواقع كثيرة، وهناك كلية للدراسات الإسلامية والعربية في سراييفو – (البوسنة) منذ الخمسينيات من القرن الماضي تتبع النظام الأزهري وتأسيسها كان من خلال مصر والأزهر، وأخرى في فيينا (النمسا). وأندونيسيا أكبر دولة إسلامية في العالم بعد أن استقلت عام ١٩٥٤ برئاسة أحمد سوكارنو كان نصيبها من المنح ومدينة البعوث بالأزهر كبيراً حيث كان نصيبها من ذلك ألف طالب كل عام، وهذه الآلاف المكررة كل عام كان لها أثر كبير في أندونيسيا التي بات يوجد فيها حالياً أكثر من سبعين ألف معهد شرعي يتم التدريس فيها بالعربية بشكل تام، وكذلك الأمر في كليات الإسلاميات في كل الجامعات الأندونيسية حيث القرار أن يكون التدريس فيها بالعربية بالنسبة لكل المواد. ولا يخفى على أحد دور الأزهر في نشر الإسلام والعربية في كل البلدان العربية والإسلامية بعد استقلالها والمثال الأوضح هو الجهود في الجزائر بشأن التعريب.

دورٌ كرّسته ثورة "٢٣ يوليو" ولم تتمّ المحافظة عليه

صبحي غندور

لذلك، جاءت تجربة الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ تتويجاً لهذه المشاعر التحرّرية القومية، وقامت الجمهورية العربية المتحدة بناءً على ضغط الشارع العربي عموماً والسوري خصوصاً من أجل انضمام سوريا للقيادة الناصرية في مصر.

يخطئ كثيرون حينما لا يميّزون المراحل في تاريخ تجربة ٢٣ يوليو الناصرية أو حينما ينظرون إلى السياسة التي اتّبعها جمال عبد الناصر وكأنّها سياقٌ واحد امتدّ من عام ١٩٥٢ حينما قامت ثورة ٢٣ يوليو إلى حين وفاة ناصر عام ١٩٧٠.

أيضاً، جمال عبد الناصر لم يكن قائداً عربياً فقط، بل كان إضافةً لذلك حاكماً ورئيساً لشعب مصر. فبينما عرفه العرب غير المصريين بدوره كقائد تحرّر قومي، عرفه شعب مصر كحاكم يحكم من خلال أجهزة وأشخاص، فيهم وعليهم الكثير من الملاحظات والسلبيات، رغم ضخامة حجم الإنجازات الكبيرة التي تحقّقت للشعب المصري نتيجة الثورة.

ولم نكن كعرب في فترة عبد الناصر (ولسنا كذلك الآن طبعاً) نعيش في ظلّ دولة واحدة ليكون الفرز العربي الداخلي على أسس سليمة بين المتضرّر والمستفيد من وجود أفكار وأعمال التجربة الناصرية.

وقد قامت ثورة ٢٣ يوليو بواسطة جبهة "الضباط الأحرار" وليس من خلال حزب أو تنظيم موحّد الفكر وأسلوب العمل.

كذلك أحاطت بالتجربة الناصرية ظروف داخلية وخارجية معيقة لحركة "ثورة ٢٣ يوليو"، كان أبرزها حال التجزئة العربية والتعامل مع الشعوب العربية إمّا من خلال الحكومات أو أجهزة المخابرات المصرية، وفي ظلّ حرب باردة بين المعسكرين الدوليين، حيث تركت هذه الحرب بصماتها الساخنة على كلّ المعارك التي خاضها عبد الناصر.

المشكلة بثورة ٢٣ يوليو أنّ ساحة حركتها وأهدافها كانت أكبر من حدود موقعها الجغرافي المصري.. فقد كانت قضاياها تمتدّ لكلّ الساحة العربية، وأيضا لمناطق أخرى في إفريقيا وآسيا.

إنّ "٢٣ يوليو" بدأت ثورةً مصرية، ونضجت كثورة عربية، ثمّ ارتدّت بعد وفاة ناصر إلى حدودها المصرية.

فالسياسة العربية لمصر عبد الناصر كانت مرتبطةً بالمراحل والظروف المتغيّرة رغم القناعة المبدئية بالعروبة لدى القيادة الناصرية.

إنّ ثورة ٢٣ يوليو حصلت عام ١٩٥٢ دون أي ادّعاء بالعمل من أجل أي قضية عربية، وكانت الأهداف الستّة للثورة المصرية الّتي أعلنت حين قيامها خاليةً تماماً من أي موضوع عربي وتمحورت جميعها على القضايا الداخلية المصرية.

ولم يظهر البُعد العربي واضحاً في ثورة ناصر إلّا بعد تأميم قناة السويس ثمّ العدوان الثلاثي (البريطاني/الفرنسي/الإسرائيلي) عام ١٩٥٦ على مصر. فبعد هذه السنوات القليلة من عمر الثورة المصرية ظهر الالتفاف الشعبي العربي الكبير حول القيادة الناصرية واشتعل تيّار القومية العربية في أرجاء البلدان العربية كتيّار مرتبط بمطلب الاستقلال الوطني والتحرّر من الاستعمار وامتلاك الثروات الوطنية، في مرحلة كانت معظم دول العالم الثالث فيها تعاني من الإستعمار الأجنبي ومن تحكّم الشركات الأجنبية بالثروات الوطنية. وكانت صرخة ناصر: "إرفع رأسك يا أخي، فقد ولّى عهد الاستعباد والاستعمار"، صرخةً مدوّية كان صداها يتفاعل في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاّتينية، فكانت دعوةً من أجل التحرّر والحرّية، وقد حرّكت وأنهضت الشارع العربي كلّه من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، وكان ذلك أيضاً دافعاً لربط مطلب التحرّر بالدعوة للوحدة العربية كتعبير عن وحدة الانتماء الثقافي ووحدة الهموم ووحدة الأحلام والآمال.

لذلك، جاءت تجربة الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ تتويجاً لهذه المشاعر التحرّرية القومية، وقامت الجمهورية العربية المتحدة بناءً على ضغط الشارع العربي عموماً والسوري خصوصاً من أجل انضمام سوريا للقيادة الناصرية في مصر.

لكن عقد الخمسينات الّذي تميّز بمعارك التحرّر الوطني والاستقلال وبانطلاقة التيّار القومي العربي، تعرّض لنكستين كبيرتين في مطلع عقد الستينات وأواسطه، وانتهى هذا العقد بوفاة من قاد هذه المعارك التحرّرية، ومن أضاء في القرن العشرين شعلة العروبة.

النّكسة الأولى، كانت بحقّ الجمهورية العربية المتحدة حيث قادت جماعة انفصالية في سوريا حركة الانفصال عن مصر يوم ٢٨/ ٩/ ١٩٦١، ثمّ جاءت النّكسة الثانية يوم ٥/ ٦/١٩٦٧ حيث جرت هزيمة حرب يونيو وما نتج عنها من متغيّرات كثيرة في مصر والمنطقة العربية. وفي النكستين، كان ناصر مثالاً في المسؤولية وفي الحرص على العروبة. فلقد رفض عبد الناصر استخدام القوّة العسكرية ضدّ حركة الانفصال السورية رغم مشروعية وقانونية هذا الحق، ورغم أنّ دولاً عديدة استخدمت القوة العسكرية للحفاظ على وحدة كيانها السياسي.

أمّا هزيمة عام ١٩٦٧، فقد أعلن ناصر تحمّله المسؤولية الكاملة عنها واستقال من كلّ مناصبه الرسمية، ولم يعد عن هذه الإستقالة إلّا بعد يومين من المسيرات الشعبية

العارمة التي شملت مصر ومعظم البلاد العربية، ثمّ كانت هذه الهزيمة سبباً مهمّاً لإعادة النظر في السياسة العربية لمصر الناصرية حيث وضع جمال عبد الناصر الأسس المتينة للتضامن العربي من أجل المعركة مع العدوّ الإسرائيلي، وتجلّى ذلك في قمّة الخرطوم عام ١٩٦٧ وما تلاها من أولوية أعطاها ناصر لإستراتيجية إزالة آثار عدوان ١٩٦٧، وإسقاط كل القضايا الأخرى الفرعيّة بما فيها سحب القوات المصرية من اليمن والتصالح مع الدول العربية كلّها والسعي لتوظيف كل طاقات الأمّة من أجل إعادة تحرير الأراضي المحتلة.

وكانت هذه السياسة هي سمة السنوات الثلاث التي تبعت حرب ١٩٦٧ إلى حين وفاة عبد الناصر.

لكن خلاصات تلك المرحلة كانت مزيجاً من الدروس الهامة لقضيتيْ التحرّر والوحدة. إذ تبيّن أنّ زخم المشاعر الشعبية لا يكفي وحده لتحقيق الوحدة، وأنّ هناك حاجةً قصوى للبناء التدريجي السليم قبل تحقيق الإندماج بين بلدين عربيين أو أكثر. وهذا ما حرص عليه عبد الناصر عقب حرب ١٩٦٧ حينما رفض المناشدة اللّيبية ثمّ السودانية للوحدة مع مصر، واكتفى بخطوات تنسيق معهما رافضاً تكرار سلبيات الوحدة الفورية مع سوريا.

أيضاً أدرك عبد الناصر ومعه كل أبناء الأمّة العربية أنّ التحرّر من الاحتلال يقتضي أقصى درجات الوحدة الوطنية في الداخل، وأعلى درجات التضامن والتنسيق بين الدول العربية.

كذلك، كان من دروس هزيمة ١٩٦٧ وانفصال عام ١٩٦١، أنّ البناء الداخلي السليم وتحقيق المشاركة الشعبية الفعّالة في الحياة السياسية، هما الأساس للحفاظ على أي تجربة تكاملية بين البلاد العربية، وهما أيضاً الأرض الصلبة لقيادة حركة التحرّر من أيّ احتلال أو هيمنة خارجية.

لكن هذه الدروس الهامة لم تعش طويلاً بعد وفاة ناصر، وهاهي الأمّة العربية الآن تعاني من انعدام التضامن العربي ومن الانقسامات والصراعات، ومن هشاشة البناء الداخلي في معظم البلاد العربية مما سهّل ويسهّل الهيمنة الخارجية على بعض أوطانها.

وهانحن الآن في الذكرى ٥٨ لثورة ٢٣ يوليو، نجد أنّ مصر تغيّرت، والمنطقة العربية تغيّرت، والعالم بأسره شهد ويشهد في عموم المجالات متغيّرات جذرية.. لكن رغم كلّ تلك المتغيّرات يستمرّ الحنين العربي إلى حقبة الكرامة والعزة والتوحد، ويتواصل الأمل بعودة مصر إلى موقعها العربي الريادي الذي كرّسته "ثورة يوليو" ولم تتمّ بعدَ جمال عبد الناصر المحافظة عليه.

×مدير "مركز الحوار العربي" في واشنطن
Sobhi@alhewar.com

==========

تحية واجبة لزعيم الثورة وبطل السويس

بقلم : عمرو صابح

فى فجر يوم 23 تموز- يوليو 1952 يفجر جمال عبد الناصر الثورة المصرية، فالضابط الشاب الذي حارب في فلسطين عام 1948 وحوصر في الفالوجة، عاد من الحرب ساخطا على الأوضاع السياسية في وطنه وفى الوطن العربي كله، عاد حالما بقلب تلك النظم الحاكمة المفلسة والعميلة والتى رأى أنها صنعت الهزيمة قبل أن تنتصر إسرائيل فعلا على أرض المعركة وتغتصب 78% من فلسطين، لمس جمال عبد الناصر مأساة فلسطين على الأرض عن قرب و أدرك الهدف الحقيقى من زرع إسرائيل في قلب العالم العربي وأيقن أن أمن مصر القومى موجود خارج حدودها موجود في الشام، لذا عندما كتب كتابه الشهير (فلسفة الثورة) حدد الدوائر التي سوف تتحرك من خلالها السياسة الخارجية المصرية من خلال الدائرة العربية ثم الدائرة الأفريقية ثم الدائرة الإسلامية ومن خلال العمل عبر تلك الدوائر وأولها الدائرة العربية حدد جمال عبد الناصر هوية وانتماء مصر العربي وعقب استقرار الأمور للرئيس جمال عبد الناصر على الصعيد الداخلى في مصر قام بتكليف أجهزته بدراسة أوضاع الوطن العربي ووضع الخطط لتحريره من الاستعمار إيمانا منه أن حرية العرب من حرية مصر وأن استقلال مصر سيظل منقوصا طالما لم تتحرر كل الدول العربية.

عندما قرأ دافيد بن غوريون مؤسس إسرائيل كتاب (فلسفة الثورة) لجمال عبد الناصر، قال أن هذا الكتاب أسوأ من كتاب (كفاحي) لهتلر، لأن قيام النظام الجديد في مصر بدور قيادي نشط في الوطن العربي سيدفع بالأمور تجاه الحرب مع إسرائيل.

يبرز الوجه العربي الصرف لمصر الثورة التي تدعم وتساعد كل حركات التحرر العربية ماديا وإعلاميا وتخوض حرب ضروس ضد قوى الاستعمار القديم في الوطن العربي، فتنفجر ثورة الجزائر عام 1954 في وجه فرنسا وتخوض مصر حرب ضروس ضد حلف بغداد في نفس العام، وعندما ترفض الولايات المتحدة الأميركية طلب الرئيس عبد الناصر منها تسليح الجيش المصري، يكسر الرئيس عبد الناصر احتكار الغرب للسلاح ويعقد أول صفقة سلاح مع الاتحاد السوفيتي عام 1955 مما يجعله في أعين الجماهير يبدو كبطلها وأملها في التحرر و الوحدة واللحاق بالعصر، وعندما ترفض الولايات المتحدة مساعدة مصر في تمويل السد العالى وتشهر بمصر وبالرئيس عبد الناصر، ينتهز الرئيس عبد الناصر الفرصة ليحقق حلمه بتأميم شركة قناة السويس.

كانت شركة قناة السويس تجسد المأساة المصرية بكل أبعادها ، فالقناة التى حفرت فى أرض مصر وبأيدى عشرات الآلاف من المصريين الذين جرت دماؤهم فيها قبل أن تجرى مياه البحر ، تم سرقتها من مصر ، وأصبحت شركة قناة السويس دولة داخل الدولة لها علم خاص وشفرة خاصة وجهاز مخابرات خاص وحى خاص محرم دخوله على المصريين.

وكان رئيس الشركة يعامل كرؤساء الدول محاطا بكل مراسم التبجيل والاحترام ولايجرؤ مسئول مصرى على حسابه عن شئ، وتثبت الوثائق الأمريكية و الفرنسية والإسرائيلية أن هذه الشركة دفعت من أموال مصر 400 مليون جنيه إسترلينى لدعم الجهد العسكرى للحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية ، كما قامت بدفع مبالغ مالية طائلة تقدر بعشرات الملايين للحركة الصهيونية فى فلسطين كتبرعات داعمة للمشروع القومى لليهود ... وبعد قيام إسرائيل أقامت معها إدارة شركة قناة السويس مكاتب للتنسيق المعلوماتى والمخابراتى بالتعاون مع جهاز الموساد ، كما واصلت دفع الأموال للكيان الصهيونى دعما له ، وكانت خططها المستقبلية كلها مرتكزة على تمديد عقد امتياز القناة لمدة 99 عاما جديد .... كانت خيرات و ثروات مصر مسلوبة من أهلها تمتصها طبقات عميلة وأسرة حاكمة دخيلة وأجانب مرابون ويهود مستغلون، وبرده القناة لمصر يضرب عبد الناصر بسيف البطل بين عيني الطغاة ويكرس مكانه إلى الأبد في التاريخ كثائر أممي ضد الاستعمار، وبصمود الشعب المصري بقيادة الرئيس عبد الناصر أمام العدوان الثلاثى عام 1956 والدعم العربي لها أثناء العدوان، تخرج مصر منتصرة من تلك الحرب وتتعزز مكانة الرئيس عبد الناصر في مصر وفي الوطن العربي وأيقن العرب أن عهدا جديدا قد بدأ وأن بطلا عربيا فذا قد ظهر على مسرح التاريخ.

كان قرار الرئيس عبد الناصر بتأميم شركة قناة السويس هو الخطوة الأولى فى عملية إسترداد مصر وثرواتها من الأجانب واليهود ، وهو ما تم تباعا خلال عقد الستينيات من القرن العشرين.

فى الذكرى ال٥٤ لتأميم القناة تحية لروح الزعيم الخالد جمال عبد الناصر قائد الثورة وبطل السويس

٥٨ عاماً على ثورة يوليو الناصرية

شاكر فريد حسن

تحيي القوى والحركات الوطنية والتحررية في مصر والوطن العربي والعالم ،هذه الأيام،ذكرى ثورة يوليو المصرية ،التي فجرها وقادها الزعيم العروبي والقومي الخالد جمال عبد الناصر.هذه الثورة التي تعتبر ،وبحق، ثورة الأمة العربية على امتداد مسيرتها الثورية والوطنية .

ورغم انقضاء السنوات الطوال على هذه الثورة الماجدة والعظيمة وغياب قائدها وواضع لبناتها ،الا ان هناك هجوماً منظماً ، عنيفاً وسافراً على القومية العربية والفكر القومي الناصري العروبي واساءات الى الرمز القومي جمال عبد الناصر ،ومحاولة وأده واغتياله في قبره من قبل اقلام مسمومة حاقدة ومأجورة ، وقوى اصولية و"اخوانية " متطرفة تخلط الأوراق وتشوه صورة وتراث ومواقف عبد الناصر الحاضر ابداً في الوجدان العربي.

وفي الحقيقة ان عبد الناصر ليس بحاجة الى دفاع ولا لشهادات مديح وقصائد رثاء من أحد، فهو بشخصيته وسيرته النضالية وتاريخه الناصع ومواقفه الجذرية الملتزمة وفكره التحرري النّير اعظم وأكبر من كل الأقزام . وقامته تطال قامة التاريخ ، وتراثه القومي والوطني امسى سلاحاً بايدي المقاتلين والمكافحين والمناضلين المتطلعين نحو الشمس وفجر الحرية والعدالة ، الذين يستلهمون منه أس الثورات لعصور قادمة.

لقد جاءت ثورة 23 يوليو بهدف بناء وتطوير حياة ديمقراطية عصرية وحضارية حقيقية وسليمة ، واجراء التغيير النوعي الديمقراطي الاجتماعي والاقتصادي والاستقلالي الوطني، وتحقيق عدالة اجتماعية للشعب المسحوق، ورفع مستوى معيشة القطاعات الشعبية في الأرياف المصرية. وكذلك فتح الأبواب امام القوى الجماهيرية للانخراط في التعليم المجاني وفلاحة الأراضي وزراعتها . اضافة الى دعم حركات التحرر الوطني العربي ومواجهة قوى البغي والاستعمار والامبريالية وتصفية النفوذ الاجنبي في التنمية الاجتماعية.كما انه في عهد الثورة وزمن عبد الناصر ازدهرت المنابر الاعلامية والمجلات والدوريات الثقافية والفكرية التقدمية ،مثل "المجلة" و"الطليعة "و"الفكر المعاصر" وغيرها.

لكن منذ انفجار هذه الثورة جرت مياه كثيرة في نهر النيل ، وحدثت متغيرات وتحولات كثيرة قضت على معالم ومنجزات الثورة . فثمة غياب للديمقراطية والحرية الفكرية وانعدام للاستقرار والانتعاش الاقتصادي وتصفية القطاع العام . ناهيك عن اللجوء الى سياسة الانفتاح الاقتصادي ، التي ادت الى تزايد التضخم المالي وتفشي البطالة والجوع والفقر والفاقه والتخلف العلمي، ونمو التطرف الديني الاصولي المتزمت ، وتعمق الاستقطاب والصراع الطبقي الحاد بين الفقراء والاغنياء. يضاف الى ذلك التبعية والخضوع الكامل لنظام العولمة الذي تقوده وتتزعمه الولايات المتحدة الامريكية ، والتخلي عن قضية الوحدة العربية، والسقوط في براثن المستنقع المعادي لتطلعات الشعوب وحريتها واستقلالها، والابتعاد عن مبادئ الثورة وتغيير سياسات عبد الناصر، بعد ان كانت مصر العروبة ، مصر احمد عرابي ، تلعب وتؤدي دوراً سياسياً وطليعياً هاماً في العالم العربي ، وفي ترسيخ دعائم الوحدة والمصير العربي والدفاع عن قضايا الشعوب ، ومواجهة قوى الشر والعدوان والطغيان وعدم الخضوع للشروط والاملاءات الامريكية.

ويمكن القول ، ان مصر تشهد في العقود الاخيرة ردة كاملة في جميع المجالات وانحرافات عن مبادئ ثورة 23 يوليو التاريخية،ولم تعد بوابة الشرق كما كانت ابان الحقبة الناصرية ، وانما اصبحت حليفة وشريكة في التآمر وتنفيذ وتطبيق السياسات الامريكية والامبريالية في الشرق الأوسط.

ان الشعب المصري والشعوب العربية قاطبة ، من محيطها وحتى خليجها، بحاجة في هذه المرحلة الحالكة والمدلهمة الى فكر وتراث عبد الناصر القومي والوطني، لكي يستمدوا منه الصمود والشموخ والعنفوان والعزة القومية ، والعمل بمقولته لأجل امتلاك المصير والظفر بالمستقبل المشرق المضيء ،التي جاء فيها:"سوف نظل دائماً تحت علم الوحدة العربية، وسوف نظل دائماً تحت علم الاستقلال الوطني ، وسوف نظل دائماً تحت اعلام الحرية البانية للتقدم والسلام القائم على العدل لشعوبنا ، ولكل شعوب الارض".

وصدق المفكر التقدمي الراحل . محمود امين العالم . وأصاب كبد الحقيقة حين قال ذات مرة في صحيفة "الأهالي" المصرية :"نحن نعيش نكسة كاملة اقتصادية وسياسية وثقافية في استقلالنا الوطني ورؤيتنا العربية "و"يجب وضع رؤية متكاملة لتجاوز الواقع الذي نعيشه واستلهام ثورة يوليو وانجازاتها وتنفيذ هذه المبادئ بعد تطويرها حتى تتفتق واحتياجات مصر والأمة العربية".

الذكرى الثامنة والخمسون لثورة ٢٣ يوليو/ تموز المجيدة...(١ من ٢)

جمال عبد الناصر قائد تاريخي...عاش لفلسطين والقضايا القومية وقضى شهيداً من أجلها

جرياً على عادتهم على مدار العقود الأربعة الأخيرة، يستقبل العرب الذين يحتفظون بجرأتهم وثباتهم على مواقفهم القومية والمجاهرة بها الذكرى الثامنة والخمسين لثورة 23 يوليو/تموز المجيدة وانبثاق الفكر الناصري هذا الشهر بكثير من الأسى والمرارة بسبب حالة التشرذم والضعف والوهن والتردي التي تعيشها الأمة العربية ومضي النظام الرسمي العربي في انبطاحه واستسلامه للإرادة الإسرائيلية - الأميركية المشتركة. ولعل ما يجري في الأراضي الفلسطينية المحتلة والعراق وما يتساقط فيهما من شهداء تلو الشهداء وما يحاك من مؤامرات ضد لبنان والسودان وأقطار عربية أخرى خير أمثلة على هذه الحالة.

وفي هذه المناسبة العظيمة أرى أن من المفيد التذكير بأن قائد هذه الثورة المجيدة وصاحب هذا الفكر العظيم الراحل الكبير جمال عبد الناصر كان هو السباق بين الحكام العرب إلى الدعوة لعقد مؤتمرات القمة العربية من أجل القضية الفلسطينية منذ عام 1964، وقد مضى في تبنيها حتى رحيله في عام 1970. ومن المفيد التذكير أيضاً بأن علاقته بهذه القضية، التي تصدرت على الدوام أولوياته القومية باعتبارها قضية العرب المركزية، رجعت إلى فترة مبكرة جداً من حياته الدراسية والعسكرية والسياسية.

فبعد صدور قرار تقسيم فلسطين في التاسع والعشرين من تشرين الثاني عام 1947 تشكلت لدى جمال عبد الناصر قناعة مفادها "أن ما يحدث في مصر وما يحدث في فلسطين هو جزء من مخطط استعماري يستهدف الأمة العربية كلها". وانتقلت تلك القناعة إلى إخوانه من الضباط الأحرار، بحيث استقر رأيهم منذ اجتماعهم الأول على ضرورة مساندة المقاومة الفلسطينية من خلال الانضمام إلى فرق المتطوعين العرب التي كانت قد بدأت تتشكل في العاصمة السورية دمشق وعواصم ومدن عربية أخرى كثيرة.

وعندما أنهت بريطانيا انتدابها لفلسطين وأظهرت انحيازاً فاضحاً إلى جانب الصهاينة في عدوانهم

محمـــود كعـــوش

السافر والمتواصل على الفلسطينيين، رأى عبد الناصر أن لحظة الدفاع عن الحقوق العربية قد أزفت لأن ما حدث في فلسطين كان يمثل انتهاكاً صارخاً للعدالة الدولية والكرامة الإنسانية في آن معاً. وأتبع ذلك بخطوة عملية تمثلت بطلب الحصول على إجازة من الجيش المصري ليتمكن من الانضمام إلى صفوف المتطوعين. لكن شاءت الصدفة أن تأمر الحكومة المصرية الجيش بالتحرك العاجل للمشاركة في حرب الدفاع عن عروبة فلسطين قبل أن يُبت بذلك الطلب. وكان لعبد الناصر ما أراد، فخاض غمار تلك الحرب وتردد اسمه بشكل مدو في معارك أسدود والنقب وعراق المنشية، كما اكتسب شهرة كبيرة في حصار الفالوجة. وتقديراً لبطولاته وتميزه في ساحات الوغى وتقديراً لوطنيته، منحته القيادة المصرية وسام النجمة العسكرية.

واستناداً لما جاء في "فلسفة الثورة" و"الميثاق الوطني" فإن عبد الناصر بعدما اكتشف أمر الأسلحة الفاسدة وعرف الطريقة التي كان يتم فيها تسيير المعارك وانتبه إلى أن القيادة العليا للجيش المصري كانت تهتم باحتلال أوسع رقعة أرض ممكنة من فلسطين دون النظر إلى قيمتها الإستراتيجية أو إلى أثرها في إضعاف مركز الجيش، وسع من دائرة نشاطاته في تنظيم الضباط الأحرار.

وأثناء حصار الفالوجة تولدت لدى عبد الناصر قناعة راسخة بأن الحصار لم يكن يقتصر على تلك البلدة الصغيرة أو فلسطين أو قطر عربي بعينه وإنما كان يشمل الوطن العربي كله من المحيط إلى الخليج، الأمر الذي ولد لديه قناعة موازية مفادها أن "المواجهة الحقيقية للاستعمار والصهيونية والرجعية العربية إنما تبدأ في الحقيقة من داخل الوطن".

وعلى ضوء ذلك خلص عبد الناصر وإخوانه الضباط الأحرار إلى أن "القاهرة حيث الانتهازيون وعملاء الاستعمار يتاجرون بالقضية الفلسطينية ويشترون الأسلحة الفاسدة للجيش المصري هي نقطة البداية وليست فلسطين"، وهو ما يستدعي القول منا دون تردد أو حرج أن "حرب فلسطين 1948 بما ترتب عليها من نتائج وإفرازات وإرهاصات أسهمت إسهاماً كبيراً ومباشراً في قيام ثورة 23 يوليو/ تموز 1952 المجيدة، إلى جانب عوامل أخرى عديدة خاصة بمصر".

عُرف عن عبد الناصر وقوفه بثبات وصلابة إلى جانب الثورة الفلسطينية المسلحة التي اعتبرها أنبل ظاهرة في الأمة العربية، وتصديه بعزم وإصرار لخصومها الداخليين وأعدائها الخارجيين. وكما هو معروف فإنه أشرف على توقيع "اتفاقية القاهرة" بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة اللبنانية في نوفمبر/تشرين الثاني 1969 حفاظاً على الثورة الفلسطينية واستمرار مسيرتها النضالية.

وأثناء أحداث أيلول 1970 في الأردن لم يدخر عبد الناصر جهداً إلا وبذله من أجل وقف تلك الأحداث المريعة والمرعبة. وحتى يضع حداً لنزف الدم الأخوي الأردني . الفلسطيني دعا إلى عقد مؤتمر قمة عربي استثنائي انتهى إلى توقيع اتفاقية جديدة بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية، سُميت هي الأخرى "اتفاقية القاهرة".

وبعد توقيع تلك الاتفاقية ووداعه القادة العرب اطمأن على الثورة الفلسطينية وخفق قلبه الكبير بحبها لآخر مرة وتوقف يوم الثامن والعشرين من سبتمبر/ أيلول 1970. رحم الله جمال عبد الناصر القائد والأب والأخ والرفيق. لقد عاش للقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني وقضى

في الذكرى الثامنة والخمسون للثورة

شهيداً من أجلهما. لقد عاش للقضايا العربية الوطنية والقومية وقضى شهيداً من أجلها. ألم تكن القضية القلسطينية هي القضية المركزية عنده، كما يفترض أن تكون عند كل عربي يحتفظ بجرأته وثباته على مواقفه الوطنية والقومية !!؟ نفتقدك. كم نفتقدك!!

يبقى عزاءُنا أنه وبرغم مرور ثمانية وخمسين عاماً على انبثاق الفكر الناصري وأربعين عاماً على غياب صاحبه وبرغم كل ما تعرضت له الأمة من كوارث ومصائب ونائبات، لم يزل هذا الفكر يفرض نفسه بزخم واندفاع لافتين للنظر بين الجماهير العربية التي تحتضنه وتدافع عنه متحدية كل صنوف القمع والقهر التي تتعرض لها من قبل أنظمة الحكم في عواصم الوطن من محيطه إلى خليجه. وهذا ما يستدعي بإلحاح إعادة طرح السؤال التالي للمرة الألف بعد المليون: ترى ألا تقتضي الحكمة أن يعترف حكام الأمة الآن وبعد كل هذا المخاض العربي الطويل بحالة التميز التي شكلتها ثورة 23 يوليو/تموز 1952، بفكرها وتجربتها وزعامة جمال عبد الناصر التي تجاوزت البعدين العربي والإقليمي لتشمل البعد الدولي ، بحيث يمكن أن نتوقع مع قادم الأيام أن يخطوا خطوة إلى الأمام تحفزهم على تقييمها ونقدها بشكل بناء وموضوعي لأخذ العبر من إيجابياتها وتقويم سلبياتها ووضعها موضع التطبيق العملي والبناء عليها، لإخراج الأمة مما هي عليه من تفكك ووهن وضعف واستكانة؟ أعتقد أن ذلك عين الحكمة.

الدانمارك – يوليو/تموز 2010

محمود كعوش

كاتب وباحث فلسطيني

بطاقة معايدة

من (نعيمة عبد الناصر)

تطل علينا ذكرى ثورة 23 يوليو المجيدة ونفتقد القائد والمعلم والبطل أبوخالد الرمز نزف التهنئة الى كل الناصريين والى كل العروبيين والى كل المصريين والى كل الشرفاء فى كل أنحاء الوطن العربي.

تطل علينا هذة الذكرى العظيمة بمبادئها الستة ركيزة الثورة البيضاء والتى لم تراق فيها الدمـــاء ، وكانت بيضاء بمثل قلب صاحبها ولم تكن بها إعتقالات ولاتدميرولاقتل إنها ثورة ناصعة بيضاء نظيفة الايادي شريعتها العدل والحق والمساواة .

تهنئة إليك ياحبنا وهوانا نزفها الى ضريحك الطاهر أهزوجة من السويس الى فلسطين مع رايات النصر بإذن اللة .

وياثورة بيضة وزي الفل ... ويوم نورك هل وبان

وفرحنا بيك في كل مكان ... مبروك عليك ياست الكل

ياشابة حلـــــوة وزي الفل .

ثورة ٢٣ تموز ... المشروع القومي والأحلام المشروعة

بقلم : حسن حسن

الحقائق التي يمكن استخلاصها بعد ستين عاماً على بدء ثورة تموز لابد أن تفرض نفسها، والتغيرات التي ارتبطت بالثورة لابد أن تسجل دلالات واضحة، فثورة تموز كانت ورغم افتقادها للبرنامج الواضح ،

ولاسيما في سنيها الأولى، واعتمادها مسارات التجريب والخطأ، تجربة مهمة في كفاح الشعوب وبحثها عن العدالة، على الصعيدين الداخلي والدولي، استطاعت بناء مشروع للنهضة ، لم يقف عند حدود مصر، بل امتد ليصبح مشروعاً نهضوياً ، فجّر حساً قومياً تحول مداً ميز خمسينيات وستينيات تجربة حفلت بالإنجازات والانتصارات ، لكنها دون شك ، لم تخل من الإحباطات ولحظات الانكسار.

وبقدر العطاء كان التجاوب العربي الكبير مع مصر المنطلقة في خطوات واثقة نحو التحرر والوحدة، فصارت مصر في قلب العروبة، وصارت العروبة في قلب مصر.

وجاءت الوحدة المصرية – السورية عام ١٩٥٨ وقيام الجمهورية العربية المتحدة لتعبر عن واقع المد الوحدوي الذي انتهجته الثورة، ولتجسد ضرورة قومية مستمدة من ماضٍ وحاضر ومستقبل مشترك بين أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة.

فكانت تجربة مهمة ذات مغزى ودلالات عميقة أثرت العمل العربي المشترك بالكثير من الدروس والعبر.

في داخل مصر ، كانت ثورة تموز ١٩٥٢ رفضاً للأوضاع التي آلت إليها البلاد بعد أن استعصت أوضاع مصر الداخلية على الحل والإصلاح في ظل سطوة الاحتلال الاجنبي وغياب النضج والوعي السياسي والاجتماعي لدى النخبة الحاكمة .

فكانت ثورة تموز تتويجاً لنضال طويل خاضه الشعب المصري دفاعاً عن حقه في وطن مرفوع الرأس موفور الكرامة، لا يجثم على صدره احتلال غاصب يشل ارادته الوطنية. ولذا فلم يكن غريباً أن يتحقق للثورة منذ انطلاقتها الاولى هذا التلاحم بين طلائع الثورة التي خرجت من صفوف القوات المسلحة وجماهير الشعب المصري، وبهذا التلاحم بين الجيش والشعب استطاعت هذه الثورة البيضاء أن تغير وجه الحياة في مصر على نحو جذري، وأن تخوض معاركها في الداخل والخارج كي تعيد للأغلبية الساحقة حقوقها.

وربما لا تعرف الأجيال الجديدة التي لم تشهد أوضاع مصر قبل ثورة تموز ١٩٥٢ أن تلك الثورة حددت اطارها للعمل الداخلي في مبادىء ستة أساسية هي :

مقاومة الاحتلال والقضاء على الاستعمار، القضاء على الاقطاع ، القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم، اقامة جيش وطني قوي، محاربة الفساد والقضاء على الظلم الاجتماعي، ارساء جذور الحرية وبناء حياة ديمقراطية سليمة.

واذا كان هناك من يرى أن المواقف القومية للثورة وموقفها من قضية فلسطين تحديداً واختيارها مواجهة اسرائيل انتهت بكارثة نكسة حزيران التي تعتبر من وجهة نظر بعض المفكرين، الضربة القاصمة للناصرية إلا أن ما جرى في المنطقة العربية بعد فتح الطريق أمام مشروعات التسوية والصلح المستمرة مع العدو وما جرته من فتح أبواب العواصم العربية أمام اسرائيل ، يؤكد صوابية مواقف ثورة تموز من هذه الناحية ويثبت أن نكسة حزيران بمرارتها وقسوتها ، كانت أخف وطأة مما حدث بعد ذلك.

واذا كان من الموضوعي الإقرار بأسباب النكسة الداخلية ومسؤولية الثورة عن الأخطاء التي سبقتها وأسهمت في الوصول إليها ، إلا أنه من الإجحاف تغييب فعل القوى الغربية وسعيها الحثيث لكسر مشروع الثورة، ألم يقل جون فوستر دالاس وزير الخارجية الاميركي آنذاك، وهو أحد الوجوه البارزة للحرب الباردة: (إن ناصر لا ينبغي السماح له بأن يتصور أن في مقدوره أن يقول لا، واذا قالها فإننا سوف نتصرف بما يجعله يقول نعم)؟.

إن فعل ثورة تموز على الساحة القومية بدا واضحاً منذ البداية من خلال دعم ثورات الاستقلال وحركات التحرر في الاقطار العربية الخاضعة للاستعمار الاجنبي، كما يسجل للثورة بصماتها الواضحة على حركات التحرر العالمية وفرضها ايقاعاً معيناً في العالم الثالث، أسهم في انشاء حركة عدم الانحياز وقيادتها بغرض إرساء موطىء قدم للبلدان النامية في عالم يصطرع فيه الكبار على حساب الصغار ، الأمر الذي منح مصر حضوراً عالمياً كبيراً ، وجلب لها في الوقت نفسه عداء القوى الغربية الكبرى.

إن تاريخ الشعوب هو سلسلة من المراحل والحلقات من العطاء في سبيل الوطن، ومراحل متصلة لا تنفي بعضها ولا تقطع به، بل توصله وتضيف إليه. ولكل مرحلة من تلك المراحل إيجابياتها وسلبياتها وظروفها وصعوباتها وتحدياتها المتعددة، الأمر الذي ينبغي معه للإنصاف والموضوعية عند الحديث عن كل مرحلة وتقويمها ألا نبتعد عن أهداف وظروف تلك المرحلة وما أحاط بها من مستجدات ومتغيرات في عصرها وأوانها. فبعد ستين عاماً على قيام ثورة تموز ثمة من يجادل فيما اذا كان ما حدث ليلة ٢٣ تموز ١٩٥٢ هو ثورة أم حركة أم انقلاب؟ . ومن حقنا نحن أيضاً ومعنا الكثير في ربوع هذا الوطن، أن نرى في تجربة تموز ثورة بكل المقاييس و التي سوف تظل حدثاً غير عادي في حياة الأمة، ومهما يكن ميراثها وتأثيراتها الإيجابية والسلبية ، فإنها بإجمالها ومنطلقاتها وأهدافها وزعيمها الراحل الرئيس جمال عبد الناصر ، ستظل في الوجدان والذاكرة والعقل. باعتبارها اللحن والنغمة السحرية التي خاطبت الحلم المصري والعربي، وما زال صداها وقرارها يتردد جوابه حتى الآن في كل موقف يلم به الخطب هذه الامة وازاء كل التحديات (وهي كثر) يشدنا حنين تلقائي الى روح تموز وزعميها.

لقد مضى على الثورة ستون عاماً، وذهب ناصر ١٩٥٢ ولم تذهب بعد رياح تموز ولا روحها.

جمال عبد الناصر

الأمة .. الإرادة .. القرار ..!

(١)

لقد كان الوطن العربي ، ومازال هدف قوى الهيمنة على العالم عبر التاريخ البشري القديم ، والحديث ، وكانت الجماعات البشرية التي اختصّت في الأرض العربية ، وكوّنت فيما بعد الأمة العربية ، في واحدة من حالتين ، الحالة الأولى : أن تمتلك الإرادة ، والقرار ، فتواجه قوى الهيمنة ، وتكون سيدة قرارها ، حدث ذلك أثناء الحضارات العربية القديمة ، وحصل أثناء قيام دولة الرسول في يثرب ، ثم دولة الراشدين ، وحصل في عقود الحكم الأولى للأسرتين الأموية ، والعباسية ، ثم بدأت مراحل امتلاك الأمة العربية للإرادة ، والقرار تتلاشى مع تفشيّ الاستبداد الذي أدى إلى الانحطاط المديد في الوطن العربي ... ، أما الحالة الثانية : فتكون فيها تلك الجماعات البشرية العربية ، في حالة من التناحر الداخلي ، الذي يُضعف الجميع ، حاكمين ، ومحكومين ، وبالتالي تكون الأمة العربية بمجملها فاقدة للإرادة ، والقرار ، وفي مثل تلك الحالة تلجأ الجماعات البشرية المستلبة ، إلى قوى الهيمنة الأجنبية ، تستجدي الدعم منها ، لتفتك كل واحدة ، بالأخرى ، فتفتقد جميعها ، القرار ، والإرادة ، ويتحولون جميعاً إلى أدوات رخيصة في صراع قوى الهيمنة الدولية ، حدث ذلك في الصراع بين الأحباش والفرس ، وفي الصراع بين الرومان والبيزنطيين ، وحصل في الصراع بين الفرس والرومان ، وفي الصراع بين الصفويين والمغول ، ثم ، في الصراع بين العثمانيين والاستعمار الأوربي الذي حُسم في الحرب الأوربية الأولى ، بهزيمة العثمانيين ، وتم توريث الأمة العربية المستلبة الإرادة ، والقرار ، أو تلك الأجزاء التي كانت ، مازالت ، تحت يد العثمانيين ، إلى الاستعمار الأوربي الذي وضع اليد الغاصبة على كامل أرجاء الوطن العربي ، وبما أن الاستعمار الأوربي متعدد الأطراف ، فقد كان من الطبيعي أن يتم اقتسام الكعكة العربية عبر معاهدات بين تلك الأطراف الاستعمارية أدت إلى تقسيم الوطن العربي إلى "دول فعلية" تقطعّ أوصال حتى حصة كل طرف استعماري إلى أجزاء لتسهيل عملية السيطرة ، وتنفيذاً للقرار المعلن "يجب ألا يتحد العرب" ، وهكذا اصطنعوا لتلك "الدول الفعلية" الحدود ، وأنظمة الحكم ، والحكام .. منذ ذلك الوقت رفع المناضلون العرب من أجل الحرية ، والنهوض ، والتنوير ، واستعادة الإرادة ، والقرار : شعار الوحدة العربية ، كهدف لمسيرتهم التحررية .. أولئك المناضلون العرب الذين يرفضون أن يخدعوا أنفسهم ، أو يخادعون أمتهم ، فيزعمون التحرر ، والاستقلال ، وهم سجناء الحدود التي أرساها المستعمر حول زنازينهم ،

حبيب عيسى

والتي أسموها دولاً . هكذا فإن الذين حملوا مشروع المقاومة ، والتحرير ، والنهوض ، والتنوير ، لم يضّللهم الزيف .. ، وهم في وطننا العربي كانوا يعرفون أن إجلاء جيوش المستعمرين عن رقعة من أرض الوطن العربي ، هي مجرد خطوة أولى ، لا أكثر ، لتصفية التركة الاستعمارية .. والمناضلون العرب كانوا ، وما يزالون على يقين أنهم لن يذوقوا طعم الحرية ، ولن يستعيدوا الإرادة ، والقرار ، فعلاً ، إلى أن تمحى بصمات المستعمرين ، ابتداء من خريطة "سايكس بيكو" ، إلى "وعد بلفور" ، وما بينهما ، وما قبلهما ، وما بعدهما ، في الوطن العربي .. ومن أبرز تلك البصمات ، وأكثرها خطراً ، تلك الحدود التي تشوّه الخريطة العربية ، وتمزق أمة واحدة إلى "شعوب متعددة" ، وتحّطم الوطن الواحد ، إلى دول فعلية متعدّدة .

(٢)

لقد تبيّن ، لبعض الذين ألهتهم فرحة طرد المستعمرين من أجزاء عربية ، وتوهمّوا وقتها أنهم كسبوا معركة التحرير ، والاستقلال ، والإرادة ، والقرار ، يوم أن كسبوا معركة الجلاء عن الجزء الذي يشغلونه .. لقد تبين لهؤلاء أن أحداً في الوطن العربي لا يستطيع أن يزعم التحرر طالما استمرت التجزئة .. فالاستعمار أولاً ، وقوى الهيمنة الدولية بعد ذلك ، من خلال حماية الحدود المصطنعة ، واستقلال كل دولة عربية بشؤونها الداخلية ، يحشدون قواهم .. ويعدّونها ، للانقضاض .. خفية ، أو علناً على المناضلين العرب من أجل الحرية ، في أي جزء عربي ، لمحاصرتهم في الأجزاء التي تم انتزاعها بعد الانتصار في معارك الجلاء ... ، ولإحباط أية محاولة جديّة للنهوض ، والتنوير ، عبر تجاوز حدود التجزئة ، لتحرير الأمة ، واستعادة إرادتها ، وقرارها .

إن المناضلين العرب من أجل الحرية تعلمّوا درساً واضحاً ، يلقنه التاريخ الحي ، ويكرره ، وبقي على الذين لم يدركوا بعد ، أن يدركوا ، أن تحرير الأجزاء من الاستعمار العسكري المباشر ، لأية أمة من الأمم ، ليس إلا خطوة أولية على طريق الحرية ... التي لا يمكن أن تتحقق إلا في دولة الأمة الواحدة ، وهي هنا دولة الأمة العربية ، حيث حدود الدولة تتطابق مع حدود الوطن العربي ، وتحتضن على قدم المساواة جميع أبناء الأمة العربية .

والمتتبعّ للمنحى الذي سارت عليه الأمور منذ مطلع القرن العشرين في الوطن العربي ، وللقوى الفاعلة في مشروع التحرير ، والنهوض ، والتنوير ، يلاحظ دون عناء تصاعد الخط البياني لفاعلية القوى الساعية إلى المقاومة ، والتحرير ، والنهوض ، والتنوير عبر ثورات متتابعة ضد الاحتلال العسكري المباشر ، ثم عبر تأسيس منتديات ، وجمعيات ، وأحزاب ، وحركات قومية عربية ترفض التجزئة ، ثم عبر انقلابات ، وثورات ، ومقاومات ، كحامل لمشروع الانتماء ، والهوية العربية ، لكن مع بداية عقد السبعينات من القرن المنصرم بدأ الخط البياني ، لصعود التيار القومي العربي التقدمي ، "باتجاه التحرر والنهوض والتنوير" ، بالانحدار إلى حد الانحسار ، وصعدت قوى جديدة

تعلن جهاراً ، نهاراً الانتماء إلى إثنيات ، وطوائف ، ومذاهب ، وأديان ، وإقليميات ، وبات الانتماء إلى الأمة العربية لا يحمل أي أثر موضوعي ، واقعي ، وباتت الهوية العربية في الظل تطغى عليها هويات من كل ، من هبّ ، ودبّ ...

(٣)

كان لابد من هذا المدخل لفتح باب الحدث يوم ٢٣ تموز "يوليو" ١٩٥٢ فقد كان يمكن لذلك اليوم أن يكون كغيره من الأيام ، مجرد انقلاب عسكري على ملك ، كغيره من الانقلابات العسكرية التي نُفذت ، أو أُجهضت بعد فضائح النظام الإقليمي ، في الوطن العربي ، في فلسطين عام ١٩٤٨ لولا ظهور رجل تاريخي ، استوعب دروس التاريخ ، وأبدى استعداده للتعلم من دروس الواقع الموضوعي ، هو جمال عبد الناصر ، ونحن لا نقول ذلك لشخصنة الحدث ، ولكن لأن الأحداث بعد ذلك أكدّت أن قلة ، قليلة ، حتى من رفاق جمال عبد الناصر ، الذين شاركوه في صناعة الحدث ، كانوا يشاركونه رؤيته القومية العربية التحررية النهضوية ، التي تعززّت لديه مع تقدم التجربة ، بينما تراجعت تلك الرؤية لدى الآخرين ...

(٤)

هكذا ، يمكن وضع هذا الحدث الذي حوّله جمال عبد الناصر من انقلاب على ثورة في السياق التاريخي لمشروع التحرر ، والنهوض ، والتنوير العربي ، فمن الإمام محمد عبده ، إلى عبد الرحمن الكواكبي ، إلى مالك بن نبي ، إلى ساطع الحصري ، وكثيرين غيرهم ... ، ثم إلى جميع الذين حملوا لواء المقاومة بالسلاح من أحمد عرابي ، إلى عبد القادر الجزائري ، إلى عمر المختار ، إلى عبد الكريم الخطابي ، إلى رشيد عادل الكيلاني ، إلى سلطان باشا الأطرش ، إلى فوزي القاوقجي ، إلى أمين الحسيني ، وابراهيم هنانو ، وصالح العلي ، والكثير ، الكثير غيرهم ، ثم إلى جميع الذين أسسوا جمعيات ، ومنتديات ، للحفاظ على هوية الأمة العربية ، من الجمعية القحطانية ، إلى الجمعية العربية الفتاة ، إلى كتائب الفداء العربي ، إلى جيش الإنقاذ العربي ، إلى عصبة العمل القومي ، إلى الاشتراكي العربي ، إلى حزب البعث ، ثم على حزب البعث العربي الاشتراكي ، إلى حركة القوميين العرب ، والكثير غيرهم .... ، ثم ، إلى المفكرين ، والفلاسفة ، والمتنورين ، والشعراء ، والأدباء ، والفنانين ، والمثقفين عموماً الذين لامسوا نبض الأمة ، فكتبوا ، وانشدوا ، وغنوّا لها ، والذين يضيق المقام هنا في سرد أسمائهم ..... في هذا السياق الشامل للنهوض ، والتنوير ، كان جمال عبد الناصر ، أصاب وأخطأ ، انتصر وانهزم ، لكنه لم يرتد ، ولم يتراجع ، رغم الصعاب ، ويصدق فيه قول أحد أجدادنا العظام : (ليس من طلب الحق فأخطأه ، كمن سعى إلى الباطل فأدركه) . فالذي حاول تطويع أدوات ، وأجهزة الضرورة الإقليمية ، لتحقيق الأهداف النبيلة القومية التقدمية للأمة العربية ، ليس كمن طوّع الأهداف ، والشعارات القومية النبيلة لارتكاب موبقات الاستبداد الإقليمي ، والقمع ، والتوحش ، لغاية وحيدة هي : التسلط ، والتفرد ... ، لقد كان جمال عبد الناصر منذ اليوم الأول محكوماً بأدوات ، وأجهزة ، ووسائل الضرورة ... ، إننا ، هنا ، لسنا في وارد التبرير ، وإنما في محاولة لتوصيف الحالة التي كانت راهنة صباح يوم ٢٣ يوليو "تموز" ١٩٥٢ فالأدوات ، والوسائل التي كانت تحت تصرفه تتيح له تنفيذ الانقلاب على الملك عن طريق "الضباط الأحرار" لكن تلك الأدوات ، والوسائل ، لا يمكن أن تكون الحامل لمشروع التحرر ، والنهوض العربي الذي حمله جمال عبد الناصر ، بل ، ربما سيتم استعمالها ، بمواجهته ، فقد تبيّن بما لا يدع مجالاً للشك أن الغالبية العظمى من أفراد تنظيم "الضباط الأحرار" لم يكن لهم علاقة إيجابية بمشروع التحرر القومي العربي ، وأن جلّ اهتمامهم ينحصر داخل حدود مصر ، وبالتالي فإن أجهزة الدولة في مصر كانت معنية بالحكم في مصر ، وعندما كانت تلك الأجهزة تتدخل في النشاط القومي العربي لجمال عبد الناصر ، فإن تأثيرها كان سلبياً ، ومخرّباً ، وحتى ممارسات تلك الأجهزة داخل دولة مصر كانت تنعكس سلباً على المشروع التحرري الذي قاده جمال عبد الناصر ، ولعل هذا ما يفسّر ، أن جماهير جمال عبد الناصر في الوطن العربي خارج دولة مصر كانت أكثر اتساعاً ، وفاعلية ، وعقائدية من جماهيره داخل مصر ، ولازالت كذلك ، لأن تلك الجماهير العربية خارج مصر كانت بعيدة عن تأثير أجهزة الدولة في مصر ، حتى أن البعض في الوطن العربي الذي تعامل مع تلك الأجهزة فقد مصداقيته ، وأغلب أولئك ، التحق بالانتهاز ، والنفاق ، بأجهزة دول أخرى بعد غياب جمال عبد الناصر ، لأن الأجهزة ، أية أجهزة ، تجيد تربية المنافقين ، وتخريب المناضلين ، ولعل الدرس البليغ بهذا الشأن كان عشية قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وتأثير ذلك على جماهير جمال عبد الناصر في الإقليم الشمالي "سورية" حيث كانت تلك الجماهير من الحيوية ، والمقدرة بحيث تمكنت من فرض قيام الوحدة ، لكن ما أن قامت الوحدة حتى تدخلت الأجهزة بحجة تنظيم الجماهير ، وكانت ثلاثة سنوات ونصف كافية لشل مقدرة الجماهير العربية في الإقليم الشمالي ، فتمكنت عصابة محدودة الإمكانيات من فصل الإقليم الشمالي ، ثم ما أن تحررت الجماهير العربية في الإقليم الشمالي من سطوة الأجهزة حتى عادت إلى نشاطها تقاوم الانفصال ، والانفصاليين ، وتبذل الدماء لإعادة الجمهورية العربية المتحدة ، ولعل شيء من هذا حصل في الإقليم الجنوبي بعد أن انقلبت تلك الأجهزة تلاحق الناصريين في مصر ، ويحصل في أقاليم عربية أخرى حاول بعضها استغلال جماهير جمال عبد الناصر ، ومازال يتاجر بعواطفها ، وإذا كان هناك من توهّم أن تلك الجماهير العربية المناضلة ، قابلة للبيع والشراء ، فإن هؤلاء ، وأولئك يبيعون ، ويشترون أوهامهم ....

(٥)

لقد جاء الحدث الذي فجرّه جمال عبد الناصر في المركز العربي ، مصر ، يصّب في مشروع الثأر لما حدث في فلسطين ١٩٤٨ بشكل مباشر ، وبالتالي لا يمكن فهمه إلا في هذا السياق المقاوم لجميع محاولات

تغييّب الأمة العربية ، واختلاق انتماءات مختلفة الألوان والمنطلقات ، والعقائد ، تلك الانتماءات البديلة التي تتمّتع بدعم غير محدود من القوى الطامعة في وطننا العربي ، لا كانتماءات في إطار الأمة العربية ، وإنما كبديل عن الهوية العربية ، وهكذا كان على جمال عبد الناصر منذ اليوم الأول أن يحدّد خياراته ، فقد وضعته الأحداث وجهاً لوجه أمام الحقيقة القائلة : إن الحرية في مصر لا تتحقق إلا بوضع مصر ، كما هي فعلاً ، في مركز المشروع النهضوي التنويري العربي ، وأن الحرية بدون الوحدة العربية سراب .. وأن التقدم بغير الوحدة العربية محفوف بالمخاطر في كل لحظة .. وان البناء دون الوحدة .. مهدد بالانهيار ، والتدمير من جيوش ، وأساطيل الأعداء ، القريبة ، والمرابطة ، هنا .. وهناك .. في الأرض العربية ، والمياه الإقليمية العربية ، وتجوب السماء العربية .

(٦)

لهذا كله ، فإن حدث ٢٣ يوليو "تموز" ١٩٥٢ تجاوز حدود مصر إلى الوطن العربي ، والعالم ، وتعددّت المواقف منه ، ووجهات النظر فيه ، وفي التعامل معه ، سلباً ، أو إيجاباً :

الموقف الأول : ترتبّ على أن الكتلة الواسعة من الجماهير العربية وجدت نفسها مشدودة لقيادة جمال عبد الناصر معارك التحرر العربية ، وهي خارج مؤسسات حزبية ، وحركية تتيح لها المساهمة الفعلية في تلك المعارك ، وبالتالي اتجهت بإبصارها إلى جمال عبد الناصر تنتظر منه تحقيق أهداف الجماهير العربية في التحرر ، والوحدة ، والنهوض ، والتنوير .. ، وتلك الجماهير العربية ، بذلك أعفت نفسها من مسؤولية النضال .. وأقصى ما يمكن أن تفعله هو الارتباط العاطفي بجمال عبد الناصر.. وتعظيمّه ، فحّملته فوق ما يمكن أن يحتمله البشر ، وطلبت منه المستحيل ، بأن ينتصر في معركة ، لا يمكن الانتصار فيها ، إلا بمشاركة فعلية ، ومنظمة من سائر الجماهير العربية بين المحيط ، والخليج ، فأرهقت تلك المسؤوليات أعصاب الرجل ، وحطمّت قلبه ، فقد كان وفياً لها ، لكن أدواته كانت عاجزة عن تحقيق تطلعاتها .. !

الموقف الثاني : ويتمثل في أولئك الذين وقفوا من مشروع التحرير ، والنهوض العربي ومن قائده ، منذ اللحظات الأولى ، موقف العداء المطلق المتجنيّ ، المتهم ، والمشكك .. وهؤلاء في الداخل ، والخارج ، لم يدخرّوا وسعاً في التهجم على ناصر .. ، وعلى ثورته – بمناسبة .. وبغير مناسبة – واستخدموا لذلك جميع الأساليب التي وفرّتها لهم عصور التخلف ، والانحطاط ، من أول الطائفية ، والعشائرية ، والقبلية ، والمذهبية ، والأثنية ، إلى آخر الإقليمية العصرية ، بالإضافة إلى الأسلحة ، والمعدات المتعدّدة التي كانت قوى الهيمنة الدولية على استعداد تام لتقديمها لهم حتى دون أن يكلفوّا أنفسهم مشقة الطلب .. فقوى الهيمنة الدولية رأت في ثورة عبد الناصر خطراً يتهدد مصالحها ، وسياساتها في الوطن العربي ، وتلك القوى ، لذلك ، لا بد أن تشارك في عملية قتل الثورة الناصرية ، وإذا لم يكن بالمواجهة ، فبالاحتواء ، وإذا فشل الاحتواء ، فبالعدوان المسلح المكشوف عليها .. ولعل الوقائع تبينّ أن جميع الأسلحة المتاحة تم استخدامها ضد ثورة جمال عبد الناصر ، العربية .

الموقف الثالث : ويتمثل في قادة الأحزاب ، والحركات ، والتجمعات ، التي كانت قد تشكلت قبل تصدّي جمال عبد الناصر لقيادة معارك التحرر العربية ، تحمل شعارات قومية عربية ، وغالبية هؤلاء اعتقدوا أن جمال عبد الناصر قد تجاوزهم ، وباتت الجماهير العربية تنتظر النصر منه ، وليس منهم ، وأن كوادرهم الحزبية ، والحركية ، بدأت ترنوا إلى جمال عبد الناصر متجاوزين الأطر الحزبية ، فتعاملت تلك القيادات مع جمال عبد الناصر بإحدى طريقتين ، الأولى : الاحتواء ، لأن ناصر ليس لديه حزب ، ونظرية ، فهم الحزب ، وهم النظرية ، و الثانية ، إذا فشل الاحتواء ينقلبون إلى العداء ، والمزايدة ، والتشكيك ....

الموقف الرابع : وتمثل بتشكيل تجمعات ، وأحزاب ، وحركات ، ناصرية في سائر أرجاء الوطن العربي لاحتواء جماهير جمال عبد الناصر ، وبغض النظر عن النوايا الحسنة ، فإن تلك المحاولات لم ترتق إلى مستوى المشروع التحرري النهضوي ، وإنما تحولت إلى عبء إضافي عليه ، بالمنازعات فيما بينها ، وشلليتها ، ومحاولة الشخصنة ، والتزعّم من خلالها ... أو المساومة عليها من خلال صفقات مع بعض الأنظمة ... فما زال هناك من يبيع ، ومازال يوجد من يشتري ، لكن المشروع النهضوي ، التحرري القومي العربي بدأ يبحث عن التأصيل ، تمهيداً لاستئناف الانطلاق الجديد باتجاه التحرير والنهوض ، والتنوير العربي ... ، وإغلاق أسواق الاتجار بالمباديء ، والرموز التاريخيين ...

الموقف الخامس : ويتمثل في أولئك الذين عاشوا التجارب المرة ، وقرروا أن الانتصار لثورة جمال عبد الناصر يكون ببناء المؤسسة ، الأداة القومية التقدمية التي تحمل مشروع التحرر ، والنهوض ، والتنوير ، فتخوض معارك التحرير ، والتقدم ، في كل قرية عربية ، وفي كل بلدة ، وفي كل مدينة ، لتحرير الوطن العربي من التجزئة ، ومن المستوطنات الصهيونية ، ومن الاستغلال ، والفساد ، والاستبداد ...لأنهم يدركون أن أعداء التحرر ، والنهوض العربي أقوياء ، وأنه من الظلم إلقاء هذه المسؤوليات الجسام على عاتق قطر واحد ، أو قائد واحد ، ولو كان بحجم جمال عبد الناصر ، فالمعركة قومية بحجم الأمة العربية ، وبالتالي لابد من زج كافة إمكانيات الأمة المادية ، والبشرية في ساحة الصراع مع أعداء لا تنقصهم الحيلة ، والإمكانيات ، خاصة ، وأنهم يعلنون أن التحرر القومي العربي ، يهدد الأمن القومي لبلدانهم ، ولعل الدرس الذي تعيشه أمتنا العربية هذه الأيام يؤكد لكل من يسمع ، ويرى ، أن التجزئة تساوي فشل مشروع النهوض ، والتحرير العربي ، وبالتالي استمرار التخلف ، والاستعباد ، والاستبداد ، والتبعية .

(٧)

هكذا ، مهما اختلفت وجهات النظر ، وتعددت الآراء .. فإن الحقيقة التي يتفق عليها الجميع ، تقريباً ، هي أن ثورة جمال عبد الناصر تعتبر حدثاً تاريخياً هاماً في الواقع العربي لا يمكن تجاهله .. سلباً ، أو إيجاباً ، فقد شاركت تلك الثورة منذ قيامها ، وحتى غياب قائدها في صنع معظم الأحداث التي وقعت على الأرض العربية .. ولعل التاريخ سيذكر يوماً انه منذ عام ١٩٥٢ لم يحدث على الأرض العربية حدث هام ، إلا وساهمت تلك الثورة في صناعته .. ، مباشرة ، أو بطريق غير مباشر ، بوحي منها ، أو بوحي من القوى المضادة بمواجهتها ، لم يحدث نصر إلا ، وكان لتلك الثورة نصيباً منه ، ولم تحدث هزيمة إلا ، وكان لتلك الثورة نصيب فيها أيضا .

ومهما اختلفت الآراء في ثورة عبد الناصر ، فستبقى باعتراف الجميع ، أيضاً ، أنها أول ثورة في الوطن العربي لم تكتف بهدم أصلف عروش التبعية في الوطن العربي ، ولم تكتف بالإصلاح الاجتماعي ، وتحرير إمكانيات مصر المادية ، والبشرية ، وإنما ساهمت ببناء أول دولة للوحدة العربية في التاريخ الحديث ، وكسرت احتكار السلاح ، ورفعت شعار تحرير الإرادة ، والقرار ، ورفضت التبعية ، وقاومت الهيمنة ، وساهمت في جميع معارك التحرير العربية ، وأصدرت أول قانون اشتراكي في الوطن العربي .. ووضعت خططاً طموحة للتنمية ، وتحقيق الكفاية ، والعدل ، وهيأت المناخ لتعميق الانتماء العربي ، وتحويل الشعارات القومية العربية إلى نضال ، وممارسة ، وحرّضت المفكرين العرب لتأصيل ، وتعميق ، ومنهجة الفكر القومي العربي التقدمي عن طريق البحث العلمي ، فمنذ أن قامت ثورة عبد الناصر ، تم تصويب النقاش الجاري باستمرار بين فصائل الشباب العربي على طول الأرض العربية ، وعرضها ، ليدور حول الطريق نحو تحقيق دولة الوحدة العربية التقدمية .. كيف ؟ ، ومتى ؟ ، وبمن ؟ ، ما هو الأسلوب المناسب ؟ ، حتى أصبح

كل حديث لا يتعلق بمشروع التحرر ، والنهوض ، والتنوير ، والوحدة العربية ، والتقدم ، لا يساوي أكثر من الصفر . .. ، إلا أن أجهزة الدولة الإقليمية كانت عاجزة عن أن تكون الحامل المناسب لمشروع جمال عبد الناصر التحرري النهضوي ، التنويري ، فحدث انفصال الإقليم الشمالي عن الجمهورية العربية المتحدة ، ثم هزيمة ٦٧ ، ثم أفشلت تلك الأجهزة جميع المحاولات المتعاقبة لتأسيس أداة قومية تقدمية باعتبارها الحامل الوحيد المناسب لمشروع النهوض ، والتنوير ، ثم استخدمها أنور السادات في الانقلاب على الثورة ، والسير في الاتجاه المعاكس .

(٨)

لقد ولدت ثورة جمال عبد الناصر في جو عربي بالغ التعقيد ، حيث تكشفت المخططات ، والمعاهدات الدولية التي تستهدف الأمة ، والوطن ، فتم تجسيد ذلك على ارض الواقع ، دولاً واقعية ، ومستوطنات ، وشركات نهب ، وأنظمة استبدادية متوحشة ، ويمكن تلخيص الموقف ، بالنقاط التالية :

كانت بريطانيا قد نفذت وعدها الذي أعطاه بلفور ، وزير خارجيتها للمنظمة الصهيونية ، وأقيمت على جزء من فلسطين العربية دولة أسماها العالم – إسرائيل – نالت على الفور اعتراف هيئة الأمم المتحدة ، بإجماع المتنفذين الكبار ، وغالبية الصغار "الكومبارس" .

قوات الاحتلال الأجنبي كانت ما تزال موجودة ، وبشكل فعلي على الأرض العربية في المغرب العربي ، في الجزائر ، والجنوب العربي ، والخليج ، بالإضافة إلى وجود ٨٠ ألف عسكري انكليزي على ضفة قناة السويس بالذات مع وجود قواعد أجنبية في ليبيا ، والعراق ، والأردن ، والسعودية ، وأقطار عربية أخرى .

الأقاليم العربية التي غادرتها قوات المستعمرين ، واستقلت – ظاهرياً – .. كانت محكومة من قبل حكومات هزيلة ، لا تقوى على مجابهة الأجنبي ، والوقوف ضد أطماعه الاقتصادية ، والسياسية في الوطن العربي فكانت مستلبة الإرادة ، والقرار ، وفي حالة من التبعية المهينة .

معاهدة "سايكس بيكو" الموقعة في أوائل هذا القرن كانت قد تأكدت ، وتأصلت جذورها ... فالحدود بين المقاطعات العربية اتخذت شكل حدود دولية معترف فيها عالمياً يقف عليها رجال الأمن ، والجمارك .. وترفع فوقها أعلام الدول الإقليمية .. بالإضافة إلى توالد ، أو توليد حركات إقليمية كانت اتخذت لنفسها – إيديولوجيات – وعقائد تبرّر من خلالها التجزئة العربية ، وتدعو علناً لأفكارها التقسيمية .. ومن هذه الحركات ما يدعو إلى تجزئة الأرض العربية ، مثل الدعوة الفينيقية في سورية الكبرى ، والفرعونية في مصر ، والبربرية ، والمغربية في المغرب العربي ..إضافة إلى حركات إثنية ، وطائفية ، ومذهبية ، وقبلية ، وحركات أخرى كانت تدعو إلى مزيد من التفتيت ، أو تتجاوز حدود الوطن العربي وتدعو إلى العالمية ، دينياً ، أو أممياً ، دون الأخذ بعين الاعتبار ، وجود الأمة العربية ، والشعب العربي ، فالمهم في الحالتين طمس حقيقة الهوية العربية .

هذه الأمور جميعها ، كانت قد جعلت من الإقليمية ، والتجزئة واقعاً عربياً ، ودولياً يحميها القانون الدولي ، والشرعية الدولية .. وبات اختراق هذه التجزئة ، أو العمل ضدها هو عمل خارج عن القانون الدولي يعاقب عليه مرتكبه بأقصى العقوبات الدولية ، ويرتبّ تهمة خيانة الدولة الواقعية على الصعيد المحلي ..

مقابل هذا الواقع الأليم والمتخلف كانت الجماهير العربية تقف أمام هذه الدعوات المخرّبة والنشيطة ، وهي لا حول لها ، ولا قوة ، ولكنها كانت في الوقت ذاته ترفض تلك الحركات التي فشلت في اختراق كتلة الجماهير العربية العريضة ، فظلت حركات ، وأحزاب هامشية تفتقد الحاضنة الجماهيرية ، وبالمقابل ظهرت أحزاب ، وحركات قومية عربية ترفض التجزئة ، وتناضل من اجل الوحدة العربية .. في مواجهة دعوات التجزئة ، والتفتيت ، لكنها بقيت أسيرة تخلف بنيانها الحزبي المؤسساتي .

في هذا السياق ، ووسط هذا الجو المشحون ، ولدت حركة ضباط عرب مصر الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر .. وهي حركة عسكرية كان الانتماء إليها مقتصراً على الضباط العرب المصريين ، أي أنه لم تكن لتلك الحركة جذور جماهيرية منظمة ، والوثيقة الفكرية الأولى لتلك الحركة كانت متمثلة في كتاب –فلسفة الثورة – لجمال عبد الناصر ، وقد ظهرت تلك الحركة من خلال هذه الوثيقة حركة مصرية إقليمية أساساً ، تتطلع إلى إصلاح الأوضاع الفاسدة داخل حدود مصر ، وترى في الوطن العربي ، مجرد دائرة أولى حول مصر تليها الدائرة الأفريقية ، فالدائرة الإسلامية ، وتظهر تلك الحركة من خلال هذه الوثيقة ، كحركة لا تحمل منهجاً محدداً .. وقد ظهر هذا جلياً في المباديء الستة التي أعلنتها حركة الضباط الأحرار – بعد استيلائها على السلطة في ٢٣ "تموز" يوليو ١٩٥٢ – والتي تستهدف الإصلاح ، وإعادة صياغة الحياة الاجتماعية ، والسياسية داخل مصر ، وإجلاء قوات الاحتلال عنها .

(٩)

وبينما بدأت ثورة جمال عبد الناصر ، بالتصدي لتحرير ، وبناء مصر اقتصادياً ، واجتماعيا .. بدأت الأمور تتكشفّ لجمال عبد الناصر ، فالمشكلات مترابطة في الوطن العربي ، ووحدة المشكلات يفترض وحدة الحلول ، ووحدة ، وترابط الأدوات ، والوسائل ، فتعمّق انتمائه إلى القومية العربية بعد أن اكتشف بحسه الثوري حدود ساحة الصراع مع القوى المضادة ، فتأصلّ هذا الانتماء يوما بعد يوم ، لديه ، وتأكد له أن ثورته لا يمكن أن تحقق أهدافها التحررية في مصر ، وتمارس دورها في البناء ، بمعزل عن المعارك الدائرة على الأرض العربية ... ، فالتطور ، والتقدم ، واستعادة الإرادة ، والقرار ، ممنوع على الأجزاء ، وعلى الكل العربي ، في الوقت ذاته ، لأن التطور ، والتحرر في جزء ، قد يتجاوز الحدود المصطنعة ، لذلك ، فإن القوى المضادة ستضرب دون هوادة ، هكذا باتت الصورة مكتملة الوضوح بالنسبة لجمال عبد الناصر ، ولعل هذا ما مَيزه ، حتى عن الكثير من رفاقه في الضباط الأحرار ، فالمعركة في الوطن العربي شاملة ، فهي معركة ضد الاستغلال ، والتخلف ، والجهل ، والأمية ، والاستبداد ، وجميع أشكال الطغيان ، والاحتلال ، والتجزئة ، في وقت واحد .

هكذا ، ما أن تمكنت ثورة جمال عبد الناصر من طرد الانكليز عام ١٩٥٤من مصر ، حتى تبينّ لها ، أن قوات الاحتلال ، والعدوان المنتشرة في الأرض العربية ، من أول المستوطنات الصهيونية في فلسطين ، إلى الجيوش الفرنسية في الجزائر ، والانكليزية في الخليج العربي ، مروراً بالقواعد العسكرية في الوطن العربي ، وقصور الحكام المستبدين ، وشركات النفط الأجنبية ، تؤدي ذات المهام التي كانت تقوم فيها قوات الاحتلال البريطاني على ضفة قناة السويس ، وبالتالي فإن الجلاء ناقص وقد عبرّ جمال عبد الناصر عن ذلك ، بوضوح تام عندما قال :

" لقد غيرّ الاستعمار طريقة تسللهّ إلى أرضنا .. وتوارى وراء "الرجعية العربية" ، وفي قصورها العالية المشيّدة من استغلال الجماهير .. فلا بد لنا لسلامة النضال الشعبي .. أن نقاتل الاستعمار في قصور الرجعية ... وأن نقاتل الرجعية في أحضان الاستعمار " ..

(١٠)

وفي عام ١٩٥٦ ، وبعد أن بات واضحاً أن جمال عبد الناصر عصيّ على الاحتواء ، فمن الإصلاح الزراعي ، إلى الجلاء ، إلى باندونغ ، إلى كسر احتكار السلاح ، وقراره التاريخي في تحدي مصالح المستعمرين حتى النهاية ، بتأميم قناة السويس ، وبناء السد العالي ، وتأميم المصالح الأجنبية في مصر ، هنا

أدرك جمال عبد الناصر أن الجماهير العربية مطالبة أن لا تكتفي بالفرجة على ما يجري ، وأن التعاطف لم يعد كافياً ، وأنه لابد من مشاركة تلك الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج ، في المعركة ، التي باتت معركة الأمة بأسرها ، ومرة أخرى وقف جمال عبد الناصر في بداية عام ١٩٥٦ ليقول :

" نحن نعلن عروبتنا الحقيقية ، ونعلن تماسكنا مع العرب جميعاً حتى لا يتكرر ما مضى ، لقد ضاعت قطعة من أرضنا ، لقد محيت قومية العروبة من فلسطين ، لأننا ُخدعنا ، ولأننا تبعنا الاستعمار ، وأعوان الاستعمار ، وكانوا يقولون هنا ، في مصر ، ما لكم وللعرب ؟ ، وكانوا يقولون للعرب في البلاد الأخرى ما لكم ولمصر ؟ ، ولكننا تنبهّنا أننا مع العرب جميعاً من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي من اجل الحرية ، ومن أجل الاستقلال ، ومن أجل الحق في الحياة...." .

ثم وقعت الواقعة في معركة العدوان الثلاثي التي فرزت القوى في الوطن العربي .. فإذا بالمعتدين محليين ، ووافدين ، أياً كانت مواقعهم في الأرض العربية ، وخارجها ، وتحت كل المسميات ، هم أعداء متحالفين متضامنين في مواجهة حركة التحرر العربية ، في الأجزاء ، وفي الكل العربي .. فكان على المناضلين العرب أن يوحدوا جهودهم في وجه الأخطار العديدة المتربصة بهم ، فكانت الوحدة بين مصر وسورية .. وكانت "الجمهورية العربية المتحدة" التي شهدت التفاف جماهيري عربي غير مسبوق في التاريخ العربي المعاصر ، فتعمّق المفهوم الإنساني للقومية العربية .. ووقف جمال عبد الناصر ، مرة أخرى ، ليعبّر عن المفهوم القومي العربي التقدمي ، فقال في عام ١٩٥٨ :

" إن القومية العربية ليست فقط حركة سياسية ، إنما هي أيضاً فلسفة اجتماعية .. هي ضرورة إستراتيجية ، وكما هي شعارات ، لا بد أن تكون أيضاً ، تخطيطاً اجتماعياً ، وكما هي حلماً ، لا بد أن تترجم إلى مستوى معيشة لائق لجميع العرب ، ذلك أنه لا كرامة لجائع ، ولا قوة لمريض ، ولا طمأنينة لمن لا بيت له ، ولا مقاومة ، ولا صمود ، لمن لا يطمئن إلى غده ، ولمن لا يشعر أن حوله مجتمعاً يكفله ، ويرعاه ، لا يسلبه حقه ، ولا يستغله .. ومن ثم لا يهدد حريته" .

وقال أيضاً في موقع آخر :

" إن العرب كلهم يؤمنون بالوحدة العربية وإيمان العرب بالقومية العربية ، سابق للثورة المصرية بكثير ، ولقد حاول العرب قبل الثورة المصرية عدة محاولات ، ولم تكن ثورتنا إلا قوة دافعة جديدة ، لنفس الفكرة .. "

هنا نلاحظ ، أن جمال عبد الناصر ، وضع الثورة في مصر ، بوضوح لا لبس فيه ، في سياق مشروع التحرير ، والنهوض ، والتنوير القومي العربي ، فقال :

" هذه القومية العربية سيرتفع علمها ، لم يرفعه جمال عبد الناصر وحده ، ولكن سيرفعه الشعب العربي" ، وأضاف :

" لقد كان الكفاح من أجل الوحدة ، هو نفسه الكفاح من أجل الحياة . ولقد كان التلازم بين القوة ، والوحدة أبرز معالم تاريخ أمتنا . فما من مرة تحققت الوحدة ، إلا وتبعتها القوة .. وليس محض صدفة أن إشاعة الفرقة ، وإقامة الحدود ، والحواجز ، كانتا أول ما يفعله كل من يريد أن يتمكن من الأمة العربية ، ويسيطر عليها .. وكذلك لم يكن محض صدفة ، أن محاولة الوحدة في الوطن العربي لم تتوقف منذ أربعة آلاف عام .. ليس طلباً للقوة ، وحسب بل كما قلت طلباً للحياة .. " .

(١١)

وعندما بدأت الجمهورية العربية المتحدة بالسير على طريق التحويل الاشتراكي نرى جمال عبد الناصر يربط بين الاشتراكية ، والتنمية فيقول :

" إن الاشتراكية ليست مجرد أن نعدل في توزيع ما نملكه .. وإنما الاشتراكية ، أن يكون لدينا أصلاً ما نملك أن نوزعه ، وأنتم ترون من الإحصائيات أن الذي نملكه لا يفي ، مع إيماني الكامل بضرورة وجود أسس عادلة ، للتوزيع على كل مستوى ، فإن زيادة الإنتاج هي أقدر الأسس على فتح آفاق الفرص الكريمة أمام العدد الكبير من أبناء شعبنا .. "

وبعد أن نجح حفنة من الانفصاليين المدعمين بقوى الرجعية ، والتآمر ، والاحتلال ، في فصل عرى دولة الوحدة ، تأكدت طبيعة المعركة المعقدة التي يتوجب على المناضلين العرب ، خوضها .. فالمعركة من أجل الوحدة العربية ، هي في حقيقة الأمر معركة ضد الرجعية ، والاستعمار ، والصهيونية ، والتخلف ، والاستبداد ، والاستغلال .. وقد عبّر جمال عبد الناصر عن ذلك ، بعد الانفصال ، بقوله :

" أعداء الوحدة ، كما وضح بعد نكستها ، من هم .. ؟ هم .. الاستعمار ، وأعوانه ، والرجعية ، والعملاء ، والانتهازية ، وهذه العناصر متآزرة ، متحالفة ، ومتعاونة ، وملتقية مع – إسرائيل – على طريق ضرب الوحدة .. " .

لقد كانت القوى المعادية للثورة العربية ، ترى في حصار جمال عبد الناصر داخل حدود مصر هزيمة لمشروع النهوض ، والتنوير ، والتحرير العربي ، برمته ، ولهذا فقد كانت تأمل أن يؤدي الانفصال إلى تقوقع الثورة في مصر على نفسها ، وأن تدير ظهرها ، للأمة العربية ، ولكن الرؤية التاريخية لقائد الثورة جمال عبد الناصر جعلتها تزداد إيماناً بالوحدة العربية ، وقد عبّرت عن ذلك ، بالممارسة عندما انطلقت ثورة عرب اليمن ١٩٦٢ حيث لم يتردّد جمال عبد الناصر في إرسال جيش الكنانة للدفاع عن ثورة الشعب العربي في اليمن كتعبير عن الإيمان الراسخ بالوحدة العربية .

ثم ، وفي عام ١٩٦٢ أيضاً ، وبعد أن بات الصراع مكشوفاً ، كان لابد من إعادة تنظيم صفوف ثورة جمال عبد الناصر ، فصدر الميثاق ، كبرنامج للعمل الوطني .. وقد عبّر عبد الناصر في هذا الميثاق عن التلاحم بين الوحدة العربية ، والاشتراكية ، ولم يقدمّ جمال عبد الناصر "الميثاق" ، باعتباره نظرية نهائية للثورة العربية ، بل قال ، وبكل وضوح ، قد نضطر إلى تغيّير هذا الميثاق في عام ١٩٧٠، وبالنظر ، لأن الثورة لم تكن قد اعتمدت – إيديولوجية – معينة .. فقد اعتمدت – التجربة والخطأ – في الميثاق ، كخطوة مرحلية ، حتى تتاح الفرصة ، للمناضلين من المفكرين العرب ، لصياغة نظرية علمية متكاملة للثورة العربية .. ذلك لأن الممارسة النضالية للثورة في مصر ، لا يمكن أن تتوقف بانتظار إنجاز النظرية ، ولكن هذا لا يعني استمرار – التجربة والخطأ – إلى فترة غير محدودة ، فلا بد من منهج ، ونظرية ثورية حتى تتقدم الثورة في الأفق العربي ، باضطراد دون خوف .. وحتى تنتصر ، دون هزائم .. ، وقد تمّ بناء " الاتحاد الاشتراكي العربي " في مصر بالاستناد إلى الميثاق ، لكن جمال عبد الناصر كان يدرك ضرورة بناء التنظيم القومي العربي التقدمي ، ففي عام ١٩٦٣ دعا جمال عبد الناصر علانية إلى قيام "الحركة العربية الواحدة" كرد على الدعوات الإقليمية ، والانفصالية ، وكتعبير عن أن الوحدة العربية لا يمكن أن تتحقق إلا بأداة قومية تقدمية مكتملة المواصفات لتنظيم حركة الجماهير العربية باتجاه التحرير ، والتنوير ، والنهوض ، وقد أوضح ذلك جمال عبد الناصر بقوله :

" أنا ، لن استطيع بأي حال ، أن أعمل " الحركة العربية الواحدة " .. فإذا أنا حاولت أن اعمل

" الحركة العربية الواحدة " معنى هذا أن هذه الحركة ستولد ميتة ، لازم أن تكون الحركة العربية الواحدة نتيجة العمل النضالي ، والكفاح في كل بلد عربي .. " .

ذلك كان نداء جمال عبد الناصر في حياته ، وتلك كانت وصيته ، فبعد أن فرضت المعارك نفسها على الثورة ، وحوصرت من القوى الرجعية ، والاستعمارية حتى تتراجع عن أهدافها الوحدوية ، أكد جمال عبد الناصر حقيقة المعركة ، فكل ما يريده الأعداء من مصر ، هو الانحسار داخل حدودها ، ومرة أخرى يواجه جمال عبد الناصر التحدي ، فيقول في مجلس الأمة عام ١٩٦٤ :

" يجب أن نعلم أن الوحدة العربية هي عمل كبير جداً ، يجب أن يواجه تحديات كبيرة جداً ، لأنه لا يمكن للاستعمار ، أن يقبل الوحدة ، ولا يمكن للصهيونية أن تقبل بالوحدة ، ولا يمكن للرجعية ولا الإقطاع ، ولا الانتهازية ، أن تقبل بالوحدة .. لأن الوحدة أصبح محتواها محتوى قومي ، وفي نفس الوقت محتوى اجتماعي... " .

وعندما اضطرت معارك النضال العربي ، جمال عبد الناصر ، للدعوة إلى مؤتمرات القمة بين الحكام العرب ، جاءت الرجعية إلى هذه المؤتمرات لا لتوحيد الجهود ضد الصهيونية ، وإنما جاءت لتتآمر على مشروع النهوض القومي العربي ، وقد عبّر جمال عبد الناصر عن ذلك بقوله عام ١٩٦٦ :

" ... ظهر أن الرجعية العربية تحاول استغلال مؤتمرات القمة التي تنصّ على وحدة العمل من أجل فلسطين ، لتقيم وحدة بين القوى الرجعية ، ضد القوى الثورية ، وضد الجمهورية العربية المتحدة .. " .

(١٢)

وعندما طرح جمال عبد الناصر شعار " الحرية والاشتراكية والوحدة " كشعار للثورة العربية لم يطرح ذلك بشكل ميكانيكي ، وقد أوضح ذلك بقوله :

" في أول كلامي قلت أن الحرية السياسية ، والحرية الاجتماعية ، ضرورية للوحدة .. لكن ليس معنى هذا أنه يتعين علينا الانتظار حتى يتحقق ذلك كله تماماً في كل أرض عربية ، لكي نبدأ الحديث ، أو العمل من أجل الوحدة .. فأهداف النضال متداخلة .. أهداف النضال تعطي لبعضها البعض ، وتأخذ من بعضها ، وتعزز أحدها الأخرى ، وتتعزّز بها .. "

وعندما ضاقت القوى المعادية ذرعاً بالثورة العربية ، وبمشروع النهوض ، والتحرير ، وبجمال عبد الناصر ، وبعد أن فشلت أساليب الاحتواء ، والعزل ، والحصار ، والتآمر العلني ، والخفي ، تم تكليف "دولة الصهاينة" بالنيابة عن دول الهيمنة بشن عدوانها السافر على الأمة العربية عام ١٩٦٧ – مدعمّة بالامبريالية العالمية – ، وما أن وصلت جيوش المعتدين إلى ضفة قناة السويس ، حتى انتظر المعتدين الاستسلام من القاهرة ، لكن الراية البيضاء لم ترفع ، بل جاء الجواب بانتفاضة التاسع والعاشر من حزيران "يونيه" ١٩٦٧ ، وبموقف جمال عبد الناصر : "ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة" ، ثم ، بمقررات الخرطوم : "لا تفاوض ، لا صلح ، لا اعتراف" ، ففشل العدوان لأن ثورة جمال عبد الناصر لم تؤثر الانعزال عن الأمة العربية ، ولم تطلب السلامة لنفسها ، فاستغرب الأمر رئيس تحرير صحيفة " النيويورك تايمز " الأمريكية ، وهو يوجه سؤاله إلى جمال عبد الناصر : سيادة الرئيس ، هل هناك ازدياد في الشعور بالوطنية المصرية ؟ ، فجاء جواب جمال عبد الناصر قاطعاً ، قال : " قبل سنة ١٩٦٧ كان الشعور الأكثر ظهوراً هو الشعور بالقومية العربية ، وبعد سنة ١٩٦٧ ظهر أيضا الشعور بالوطنية المصرية إلى جانب الشعور بالقومية العربية ، وأظنك تعرف أنهم عرضوا علينا صيغاً تنصّ على الانسحاب من سيناء وحدها ، ولم يوافق أحد في مصر على ذلك . وهذا هو الشعور بالقومية العربية ، والحقيقة أنه ليس هناك تناقض بين الشعور بالوطنية المصرية وبين القومية العربية .. " .

(١٣)

وفي آخر أيامه قبل الرحيل الحزين ، وقف جمال عبد الناصر ، ليقول بوضوح لا لبس فيه : القدس قبل سيناء ، والجولان قبل سيناء ، والضفة الغربية قبل سيناء .. وجاء في كلماته الأخيرة ، وكأنه يلقي وصيته :

" إن الشعب العربي في مصر ، تحت أعلام هذه الثورة ، رفض السلامة عن طريق الانعزال ، ورفض الأنانية برفض كل مغرياتها الوقتية ، لقد جعل قضية أمته العربية ، قضيته ، وعاش النضال من أجلها بحياته ، وكان في ذلك الوقت يعبر عن وعيه بمسار التاريخ ، لم يساوره فيه شك ، أو تردد ، وأثبت أبناء هذا الشعب دائما أنهم الأمناء بالكلمة ، والأمناء بالفعل .. لم تكن الحرية ، والاشتراكية ، والوحدة .. بالنسبة له كلمات ، وإنما كانت بالنسبة له أعمالاً ، بل كانت كلها بالنسبة له قتالا .. "

قال كلماته تلك ، ومضى ... !!

(١٤)

وفي الختام .. لابد أن نقول أن ثورة عرب مصر الناصرية .. كانت حدثاً تاريخياً هاماً على طريق الثورة العربية الشاملة ... ، وإذا كانت تلك الثورة لم تتمكن من بلوغ أهداف الأمة العربية .. وتحقيق دولة الوحدة العربية الديمقراطية العادلة ، فإن ذلك يعود لسببين أساسيين :

الأول : هو شراسة القوى المعادية ، وتكالبها على الاستمرار في نهب الثروات العربية ، ووضع اليد الغاصبة على الأمة العربية حتى لا يتحد العرب . وهذا من طبيعة الأمور ، وعلينا التعامل معه كما هو ، وليس لنا الاحتجاج به ، لتبرير الفشل في مواجهته .

والثاني : هو أن ثورة جمال عبد الناصر .. والثورة العربية عامة ، افتقدت الأدوات المناسبة للنصر في صراع بالغ التعقيد ، وخاصة عدم بلورة أداة قومية تقدمية بالمواصفات المؤسساتية الكاملة الأوصاف ، لتكون الحامل للمشروع التحرري النهضوي التقدمي ، فهي وحدها القادرة على أن تمضي به إلى غايته ، وغياب تلك الأداة أدى إلى تشتيت إمكانيات الأمة ، فتعرضّت فصائل النهوض لعملية غزو ، وتشويه من الداخل .. بتشتيتها ، وتمييع أهدافها .. وتهجين منطلقاتها الفكرية ..بل إن بعض الأساليب على صعيد الحكم ، والأجهزة كان لها تأثير سلبي على مشروع التحرير ، والنهوض فاق في بعض الأحيان ما فعلته القوى المضادة .

(١٥)

ومهما كان الأمر .. فإن ثورة جمال عبد الناصر في مصر ، إضافة إلى محاولات التنظيم قومياً على الصعيد الحزبي ، والحركي في الوطن العربي ، هي الإرهاصات التي سيبني الجيل العربي الجديد مشروعه التحرري النهضوي الجديد بالاستناد على الأصيل ، والإيجابي ، فيها ، وإذا كانت تلك المسيرة قد شابها بعض القصور فلم تبلغ هدفها ، فلا بد أن نذكرّ أن التحديات كانت كثيرة ، ومتشعبة .. وإذا كانت قد ظهرت بعض الثغرات والأخطاء .. ، فإنه ، لابد أن يقال أيضاً أن تلك المسيرة تمكنت على الأقل من إبقاء راية النضال العربي مرفوعة ... وتبقى مسؤولية الأجيال العربية المعاصرة ، تجاوز الغوص في تعقب السلبيات .. والخوض في مجاهل الجدال العقيم .. إلى تحّمل المسؤولية التاريخية بدراسة تجربة حركة القومية العربية عبر القرن الأخير ، واستخلاص الدروس اللازمة لتأصيل مشروع النهوض ، والتنوير ، والتحرير ..واستئنافه من النقطة التي وصل إليها ، واعتماد منهج ، ونظرية ، وأسلوب ، ولوائح .. وتأصيل الخط الفكري ، والعقائدي ، بوجه خاص .. ومن ثم إطلاق صافرة الانطلاق إلى الأهداف النبيلة للأمة العربية ... هكذا نقرأ ثورة جمال عبد الناصر ، كقاعدة للانطلاق إلى المستقبل العربي المنشود ، وليس ، كحدث من الماضي نقف على أطلاله .....

حبيب عيسى

ثورة يوليو والثقافة

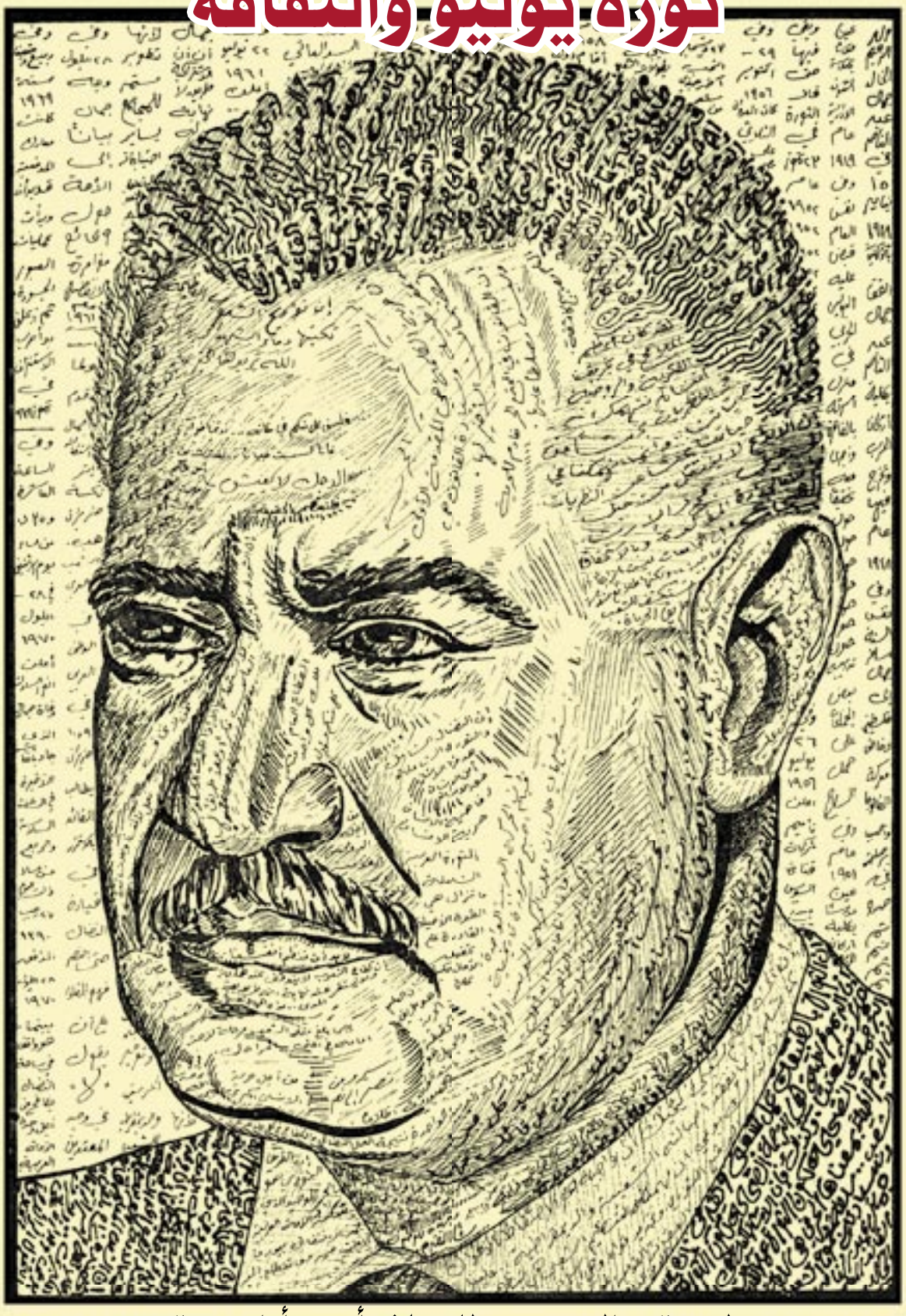

لوحة « الرمـز » للفنان أحمد أراجـــة

ثـــورة يوليـــو والثـــقافـــة

ماهي طبيعة العلاقة بين عبد الناصر والأدبيين نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ؟

أدب الستينات ومسرح الستينات علامتان في تاريخ مصر الثقافي المعاصر

المثقفون الماركسيون ندوا على كل لحظة خاصموا فيها الثورة بعد أن عاشوا في ردة السادات

مبادئ الثورة تغيير في نص الخطاب الثقافي السائد في الحركة الوطنية

إعداد: عادل الجوجري

ان الثقافة في مصر تحولت جذريا منذ نجاح الثورة إلى أن رحل قائدها إلى ربه وبعد ذلك سوف تدخل مصر والوطن العربي في حقبة جديدة هي الردة عن الثورة وعن الاشتراكية وعن مقاومة الاستعمار والأحلاف .

الثورة في علم الاجتماع السياسي هي حركة تغيير شامل للمجتمع ،وهي حركة شعبية وتقدمية ،ولاثورة بدون تغيير لثقافة المجتمع وتحويل في العلاقات بين طبقاته وفق انحيازات اجتماعية محددة،ومنذ نشب الصراع بين بني البشر حول مصادر الحياة في التجمعات البدائية، كما يقول د. عاصم الدسوقي وهو المؤرخ الناصري وأستاذ التاريخ الحديث بجامعة حلوان (انشغلت البشرية بقضية العدالة الاجتماعية والحكم العادل وجرت علي ألسنة الناس امثلة كثيرة في هذا الخصوص علي مدي الزمن ومصر شأن كثير من المجتمعات مرت بتجربة الانتفاضات والثورات والمطالبة بالإصلاح.) وبطبيعة الحال كان المصريون قبل الثورة يحلمون بالتغيير وينشدون العدالة ويطمحون في نظام حكم جديد يحرر البلاد من الاستعمار والملكية والفساد السياسي والإداري والمالي..

والشاهد أن التغيير الثوري بمعناه الشامل لم يكن له موقع في فكر الأحزاب الوطنية التقليدية فقد جرى التركيز على فكرة الاستقلال عن بريطانيا دون أن يرتبط ذلك ببرنامج تغيير اجتماعي أو ثقافي.

ورغم ذلك لاننكر أن الثقافة لعبت دورا في تنمية وعي الضباط الأحرار ، وتشكيل وجدانهم في اتجاه مطلب التغيير وكان قادة الثورة وبالذات قائدها الأول جمال عبد الناصر من المهتمين بالجدل السياسي والفكري في البلاد ،وزاي تحليل موضوعي سيدرك ان الثقافة في مصر تحولت جذريا منذ نجاح الثورة إلى أن رحل قائدها إلى ربه وبعد ذلك سوف تدخل مصر والوطن العربي في حقبة جديدة هي الردة عن الثورة وعن الاشتراكية وعن مقاومة الاستعمار والأحلاف .

ومنذ اللحظة الأولى لثورة تموز (يوليو) ٥٢، أدرك عبد الناصر ومن معه من الضباط الأحرار أن حماية الثورة لايكون بالسيف بل بالقلم وفي الثقافة. الضباط الآتون من أصقاع إيديولوجية متفرقة، حسبوا دائماً حساب الأفكار، وقرروا أن الطريق السياسية والاجتماعية التي اختاروها لمصر ما بعد يوليو، تستلزم أن تُشق بموازاتها طريقٌ ذهنية تشرح «إنجازات» الثورة. لهذا، أسّسوا وزارة «الثقافة والإرشاد القومي» واختاروا لها فتحي رضوان، الأديب والمترجم الذي كان سجيناً في معتقلات الملكية. هكذا، عيّنوه وزيراً، فشغل المنصب لسنوات. وأنشأت ثورة يوليو قصوراً للثقافة (أكثر من ٤٠٠) تنتشر في قرى مصر، وتقيم الأنشطة الثقافية بكلفة مادية زهيدة، لا تتناسب مع الملايين التي تتكلفها مهرجانات المسرح والرقص والشعر والرواية.

و بوسعنا أن نقول إن الثقافة المصرية التي ساهمت في التمهيد للثورة(عن طريق إلهاب المشاعر والإشارة إلي المصادر دون برامج عملية . حول مطالب: الاستقلال الوطني، والعدل الاجتماعي،والحكم الدستوري)... وهي الثقافة التي صاحبت ثورة(دولة) يوليو أو تفرعت عنها فنبعت منها وارتبطت بها أو اشتبكت معها . ايجابا أو سلبا ..

نزعم أن بوسعنا القول بأن هذه الثقافة كانت(وربما لا تزال) تواجه وتتحمل معهما مهمتين،: الأولي هي تقديم الأجوبة العملية المطلوبة لتأسيس مسيرة التقدم أو التنمية والخروج من عصورنا الوسطي علي أسس واقعية وثورية معا .

والثانية هي إشكالية(ومهمة) تأسيس مسيرة المنهج الجديد للتعامل مع العالم بتكافؤ وندية علي أسس متفقة من ناحية ومطالب مسيرة التنمية ومتفقة من ناحية أخري مع مكونات الكيان الثقافي/الاجتماعي المصري القادمة من دوائر تفاعله التاريخية الأربعة: العربية والإسلامية والأفريقية والمتوسطية... ومع ذلك فلا شك أن النظر الموضوعي يستطيع أن يكتشف بسهولة بالغة التداخل المركب . بين الإشكاليتين/ المهمتين والتفاعل المعقد بينهم جميعا، وأن يكتشف أيضا . بذات القدر من السهولة . مدي تحكم البدايات التي تفرضها الضرورات والممكنات معا . فيما قد يلي البداية . كل بداية . من خطوات...

ففي أربعينيات القرن العشرين كانت المشكلة الاجتماعية تتوارى خلف الاستقلال في برامج الأحزاب السياسية في حين أن الثورة جددت وطورت مطلب الحركة الوطنية المصرية من الاستقلال السياسي فحسب إلى النهضة الاجتماعية وحل مشكلات المجتمع المصري بمختلف الأشكال من القول بمكافحة الفقر والجهل والمرض ومقاومة الجفاف إلى المطالبة بتحديد الملكية الزراعية وفرض الضرائب التصاعدية علي الأموال.ولما قامت ثورة يوليو١٩٥٢ بقيادة الطبقة الوسطي كانت برامجها الاجتماعية ضد الصفوة السياسية التي كانت في الحكم قبل١٩٥٢ وتكفي الإشارة الي صدور قانون الإصلاح الزراعي وقانون منع الفصل التعسفي للعمال فور نجاح الثورة. ويري د. عاطف العراقي أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة، انه لابد من الإشارة الي أن كل اتجاه فكري أو ثورة اجتماعية أو سياسية ترتبط ارتباطا رئيسيا بأحوال المجتمع الذي قامت فيه الثورة أو الاتجاه الفكري،وان ثورة يوليو انحازت إلى المجتمع لان عقول أبطالها كانت في مصر وليس خارجها.

وقد أشار الي ذلك أكثر مفكري العالم ومن بينهم راسل الفيلسوف الانجليزي المعاصر في كتابه تاريخ الفلسفة الغربية، وحين قامت ثورة٢٣ يوليو كانت توجد ارهاصات وبوادر بل جذور أيضا بحيث أن الفرد المصري ربما كان في يقينه انه لابد من تغيير جذري،،وعندما جاءت الثورة حدث التلاقي بين شعارات الثورة وبين الشعب،لان الثورة جسدت ماكان يطالب به المثقفون والجماهير في آن.

وقد أشار الي ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مفكرون مصريون كبار كتوفيق الحكيم في عودة الروح وطه حسين في روايته المعذبون في الأرض.فالثورة بهذا المعنى الثقافي الشامل كانت تغييرا جذريا ، وترتبط بجذور المجتمع المصري الذي وقف بجانبها حين قامت لأنه قد ضاق بما كان يحدث في مجتمع ما قبل الثورة من حيث المبادئ والشعارات،، هذه مسألة لاشك في ايجابياتها وفوائدها خاصة إذا وضعنا في اعتبارنا الظروف السياسية للمجتمع العالمي وبحيث أن مصر لابد أن تتفاعل مع كل دول العالم شرقا وغربا، ولكن مبادئ أي ثورة لا يمكن أن تظل كما هي وإلا انتهت.

لقد انطلقت الثورة بدون إطار أيديولوجي حاكم بل كانت هناك مجموعة من المبادئ والضوابط "الثقافية" هي المبادئ الستة التي مثلت قواعد للحركة ومؤشرات تحتاج إلى إثراء فكري،وهنا برز دور عبد الناصر كانسان عربي التوجه ومثقف تجاوز ثقافته العسكرية التقليدية إلى الاحتكاك مع الأفكار والثقافات الأخرى المطروحة في العالم حسبما يقول عاطف العراقي،فعبد الناصر بلور

نظرية ثورية للتغيير من خلال منهج التجربة والخطأ وهذا المنهج يستلزم ثقافة موسوعية تسمح لصاحبها باختبار الأفكار نظريا ثم تجريب الأصلح في ارض الواقع بعكس المؤمنين بنظرية محددة وايديولوجيا مكتملة فهي لاتحتاج أكثر من الوعي بالأسس النظرية والإجادة في التطبيق العملي. حيث أكد الضباط الأحرار افتقار الحركة الي نظرية كاملة للتغيير الثوري وبالتالي ظلت السمة السلبية التي تلازم الحركة الثورية كما يؤكد د. رؤوف عباس في كتابه ثورة يوليو ما أسماه الافتقار الي النسق الإيديولوجي وقد حاول عبد الناصر أن يكسر هذا الجمود في كتابه فلسفة الثورة عام١٩٥٤

ويري د. حسام عقل أستاذ النقد الأدبي بجامعة عين شمس "أن من أسباب نجاح الضباط في التدبير لحركة الجيش انه لم يكن لأي منهم إيديولوجيا خاصة فإن هذه الميزة بقدر ما كانت ايجابية في النشاط الباكوري للحركة غير أنها تحولت بمرور الوقت وبفعل التراكم الزمني الي أزمة آخذة بعناق البلاد،خاصة عندما غاب عبد الناصر فقد انقلب السادات على النظرية الناصرية التي لم تكن قد أخذت وقتها في الوصول إلى قطاع عريض من المؤمنين بها والمدافعين عنها ومن هنا جاء الانقضاض السادات على انجازات الثورة يسيرا وبيروقراطيا ومن أعلى درجات السلم الوظيفي للدولة"

عبد الناصر مع الفنانين فى الاحتفال بعيد الشرطة [٢٥ يناير ١٩٦٥]

ولكن ظل النسق الفكري الشامل الذي ينتظم الجهود المتناثرة هو القضية الأكثر خطورة ومن تجليات هذه الأزمة لجوء كمال الدين حسين سكرتير عام الاتحاد القومي آنذاك الي الاستضاءة بآراء بعض المثقفين من ذوي النزعة الليبرالية مثل لبيب شقير وسعيد العريان وسليمان حزين لوضع الإطار الفكري الناقص ولاشك أن صدور القرارات الاشتراكية الشهيرة عام١٩٦١ كان البداية الحقيقية لبلورة فكر سياسي وإطار إيديولوجي رسم معالم الإطار الفكري الاقتصادي للحركة الثورية بعد فشل محاولة تمصير الشركات وإقناع رأس المال الوطني بامتلاك أصولها مما اضطر الحكومة لإدارة هذه المؤسسات الاقتصادية بل أن القيادات الفكرية للحركة لم تحدد الشكل المتجسد للممارسة الديمقراطية المشار إليها في المبادئ الستة(بعد رفض فكرة التعدد الحزبي) فجرت تجارب عديدة لبناء تنظيم مجمع كل قوي الشعب يجسد المبادئ الستة للثورة لاسيما مايرتبط بالتحول الجذري في المجتمع.

ويلاحظ في الأهداف الستة للثورة أنها بدأت بـ" القضاء الاستعمار والإقطاع وتذيلها في الختام إقامة حياة ديمقراطية سليمة وهو ما يجسد فعليا ترتيب أولويات النظام في ذلك الوقت وهو ما يفسر بالتبعية إرجاء الحياة الديمقراطية الي نهاية القائمة.فالقضية الاجتماعية كانت أكثر إلحاحا من قضية الديمقراطية،غير انه بعد عشر سنوات من قيام الثورة تناول ميثاق العمل الوطني عام١٩٦٢ ماسمي بالديمقراطية الاجتماعية وهو إبداع ناصري من الطراز الأول جمع فيه بين حرية الرأي والاقتراع وبين حرية امتلاك فرص العمل والرزق،وكانت تلك ثقافة مغايرة عن السائد في ذلك الوقت من أنماط فكرية فالماركسية طرحت قضية التغيير الاجتماعي بالتضحية بطبقة على يد أخرى والرأسمالية فعلت الشئ نفسه مع تغيير اسم وهوية الطبقة أما الناصرية فلم تضحي بالطبقة ولا بالديمقراطية وإنما ربطت بين العدالة الاجتماعية وحرية التعبير والاقتراع وتشكيل التنظيمات المدنية.

أن الثورة في حد ذاتها عمل ثقافي ،لكن مع ذلك كانت تأثيرات أخرى للثورة على الثقافة والفن والأغنية والفن التشكيلي،حتى يصدق القول أن مصر شهدت نهضة في كل مجالات الإبداع في الستينات لاتزال علامة إلى اليوم فرواد النهضة الثقافية الإبداعية في مصر وربما في الوطن العربي أيضا هم من أبناء الستينات الذين تربوا في ظل منهج ثوري،وصعود للفكر القومي وتجربة الوحدة بين مصر وسوريا وحرب اليمن ودعم الجزائر لقد كانت مرحلة خصبة في تاريخ مصر، وكم هي قليلة تلك الأيام واللحظات الحاسمة في حياة الشعوب، وذاكرة أي أمة، فأعمار الدول لا تحسب بالسنين والأيام، ولكن بلحظات الانكسار والانتصار، وقد غيرت ثورة يوليو وجه العالم العربي من حال إلى حال، ليسجل يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢م جريان المياه في شرايين الأوردة العرقية..هكذا قال عبد الرحمن الرافعي.

الثورة والأدب

وقد كتب المؤرخ عبدالرحمن الرافعي الكثير عن ثورة يوليو،وكان منحازا لها فخورا بها وهو الذي قال " وميزة هذه الثورة أن القائمين عليها رجال ذوو عقيدة وإيمان، متفاهمون، متقاربون، وكلهم من

في الذكرى الثامنة والخمسون للثورة

بيئة واحدة، وقد استمروا في اتحادهم، وتضامنهم، لم تفرق بينهم الأحداث والنزاعات الشخصية، وثمة ميزة أخرى، وهي أنهم لم يكونوا من قبل أعضاء في حزب سياسي، فساروا في الثورة مسيرة قومية، ولم يتأثروا بالأهواء الحزبية، أو العصبية، وكان ذلك من سداد الرأي، وعلامات التوفيق". أنها الثورة العربية الأم، التي من رحمها وفي رحمها ولدت ثورات في الوطن العربي، كما كانت الثورة الفرنسية في حينها وإلى الآن «أم الثورات» وكما أثرت تلك الثورات في شكل الحياة السياسية، انعكس تأثيرها أيضا، على مجالات الحركة الأدبية والنقدية والفكرية بشكل مباشر، فهناك علاقة وطيدة بين الفن والسياسة، الأول لا يمكن أن يحقق وظيفته الاجتماعية، إلا إذا كان سياسياً. فالفنان والناقد والأديب لابد أن تكون لديه عقيدة سياسية مواكبة لتطورات الحركة الاجتماعية، ومن هنا اعترف الجميع أن ثورة يوليو أحست بنبض الجماهير وبالتالي انطلقت معها ثورة الإبداع والمبدعين. يؤكد المفكر والناقد محمود أمين العالم أن ثورة يوليو فجرت ملامح الإبداع ليس في الرواية فحسب، بل في شتى ألوان الآداب والفنون، ولو أخذنا «الرواية» كمثال لوجدنا أن الثورة فتحت أمام المبدعين أبعاد ترصد ملامح الصراع الطبقي كما في رواية «الحرام» ليوسف إدريس، وأبرزت البعدين الوطني والقومي، واستخدم ساعتها الروائيون كثيراً من الأساطير المصرية، والعربية، والإفريقية، وبرزت في الرواية الأبعاد المستعينة بالقضايا الإنسانية..

لقد أحدثت الثورة نقله ثقافية شهدت مرحلة تغيير حقيقية في الثقافة خاصة جيل الرواد أمثال: عبدالرحمن الشرقاوي، ونجيب محفوظ، فالشرقاوي كتب رائعته «الأرض» قبل ١٩٥٢م، لكنها نشرت بعد قيام الثورة في ١٩٥٣م، وواصل بعدها التعبير عن آرائه بكل حرية، فتحدث عن العدالة الاجتماعية في «الفتى مهران» وعن الإصلاح الزراعي في «الفلاح»، أما نجيب محفوظ فقد انتظر سنوات بعد الثورة كي يتمكن من استيعاب أحداثها، وتناول فكرة العدالة الاجتماعية في «أولاد حارتنا» عام ١٩٥٨م، وقد تأثر جيل الرواد بانجازات الثورة، ومن الغريب أن الكُتاب الذين كتبوا بشكل إيجابي عن إنجازات الثورة هم الكُتاب السياسيون الذين تعرضوا أكثر من غيرهم للسجن مثل عبدالعظيم أنيس، طاهر عبدالحكيم، خيري شلبي. لقد وقعت خلافات بسيطة بين الثورة وبعض اليساريين الذين سرعان ماادركوا انه من الخطأ الجسيم معادة الثورة وهي التي تسعي لإنهاء الظلم في البلاد ولاحظ اليساريون الماركسيون الذين اختلفوا مع الثورة انه بغياب عبد الناصر ضاعت كل أحلامهم في التغيير فعادوا إلى الانحياز بقوة إلى مبادئ الناصرية كجدار عربي سميك في مواجهة الغزو الثقافي الرأسمالي.

يقول الروائي سليمان فياض أن ثورة ١٩٥٢م كانت مرحلة حاسمة في تاريخ الثقافة العربية، لأنها عبرت بقوة عن الظلم الواقع على المواطنين في شخص الفلاح، وكانت الأرض أبرز مثال لذلك. وفي الفترة الأولى للثورة نشطت الكتابة التي تنتمي للواقعية الاشتراكية، حسب فلسفتها وأهدافها التي ترى أن الفن يجب أن يكون خادماً للسياسة الوطنية مثل كتابات الشرقاوي، وسعد مكاوي، ويوسف إدريس.. وفي النصف الثاني من الخمسينيات نشط اتجاه الواقعية النقدية ومن هؤلاء صبري موسى، إدوارد خراط، يوسف الشاروني. وبعد نكسة يونيه٦٧ بدأ النقد ينتقل لسلبيات الثورة.. ومع هدم منجزات الثورة في الحقبة الساداتية أصبح الكاتب حائراً بين مجتمع لا هو اشتراكي، ولا هو رأسمالي، مجتمع بلا استقرار، لهذا لم يعد هناك منهج ثقافي محدد، لأن المجتمع ذاته أصبح بلا منهج.

الهوية الثقافية للأمة

لقد تبنت الثورة منهج التنمية المستقلة وهو مفهوم ثقافي بالدرجة الأولى يعني أن لاترتكز التنمية على البعد الاقتصادي فحسب وإنما هي تنمية حضارية وثقافية تستهدف في المقام الأول بناء الإنسان قبل بناء المصانع وقد تكرست القيم الناصرية في التنمية المستقلة من خلال السينما والكتاب والتليفزيون ومن

خلال رفع مستوى الوعي العام للجماهير،وتعميق الهوية الحضارية للأمة، الناقد إبراهيم فتحي يقول: أن أهم ما بقي من ثورة يوليو، هو الإحساس بالهوية العربية في المجال الثقافي، ورغم كل التحولات مازال هناك شعور للمثقف المصري بانتمائه إلى ثقافة عربية متميزة وأصيلة.. و هذا الإحساس لا يقلل من الوطنية المصرية، بل هناك تناسب بين إحساس المثقف بهويته العربية، وانتمائه إلى الشخصية المصرية، لأن الناصرية في أعظم تجلياتها كانت حركة ثقافية للدفاع عن العروبة ضد احتلال فلسطين وتقسيم الوطن العربي وفرض سياسة الأحلاف ..إن الناصرية هي القومية العربية في صيغة تنموية وحضارية شاملة.

ويقول القاص سعيد الكفراوي: عندما جاءت ثورة يوليو، كانت تجسيداً لحلم ظلت الحركة الوطنية تسعى لتحقيقه، وكان عبد الناصر مدركا لأهمية المثقفين وكان قارئا من الدرجة الأولى يتابع الإنتاج الأدبي ليس في مصر وحدها وإنما في العالم اجمع ومن هنا جاء اهتمامه بالكتاب والمثقفين ولايعني هذا حصول تطابق بين الزعيم والأدباء، فهذا مستحيل وان حصل يكون إدانة للأدباء،فعلى الثورة أن تستجيب لمجمل طموحات الحركات السياسية قبلها،وبعدها ثم تطرح صورا لحركة ثقافية جديدة ومختلفة، ومن ثم بدأت الاهتمام بالمسرح والسينما والكتاب، وكان هذا بداية الإنجاز العظيم، فالهدف هو توظيف كل هذه الوسائط لخدمة أهداف الثورة والإشادة بمنجزاتها، ومنذ بداية الستينيات وقع الاصطدام بين الثورة والمثقفين لأخطاء عند الطرفين ،فقد غابت الديمقراطية أثناء مسيرة الثورة لانجاز مشروعها القومي ربما بفعل الضغوط الخارجية والداخلية ، وتراجعت حرية التعبير، وبدأت ثقافة معارضة تلجأ إلى الرمز وإلى التغطية، أو إلى التعبير غير المباشر.. وظهر ذلك في المسرح، وأدب نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم، وقصص يوسف إدريس، حتى جاءت الستينيات، وكانت المعارضة أشد قسوة وضراوة من أبناء الثورة أنفسهم وتمثل ذلك في، أمل دنقل - يحيى الطاهر عبدالله - نجيب سرور - محمد عفيفي مطر وآخرين، لكن ظلت الميزة الأساسية في الثورة أنها خلقت ثقافة جماعية وبعد أن أصيب المشروع الناصري بفيروس الرأسمالية الطفيلية في حقبة الانفتاح الاقتصادي، والهزيمة العسكرية المروعة في ٦٧، أصيب المشروع الثقافي وأدى ذلك فكك البنى الأساسية لإقامة مشروع ثقافي جماعي، وتحولت الثقافة والإبداع المصري إلى حالات فردية، وبدلاً من كون المثقف يخلق الأزمة، أصبح هو في أزمة.

تسليم قلادة الجمهورية الى توفيق الحكيم ١٧ ديسمبر ١٩٥٨

يقول الكفراوي :كان تصور خاطئ أن فترة الستينيات، كانت لجيل غير ناقد للأوضاع القائمة، بل على العكس تماما، كان ينقد الأوضاع قبل حدوثها، ومعظم أفراد الجيل لم يكونوا صدى للشعارات الرسمية على الإطلاق، فهناك كتاب ينتمون إلى اليسار، ولم يوقفهم ذلك عن نقد التجربة الاشتراكية التي انتهجتها الثورة، والدعوة إلى إطلاق حرية الفنان وحرية الأدب والإبداع.

الإبداع المسرحي وإيديولوجيا الثورة

الكاتب والناقد والأستاذ الأكاديمي د. حسن عطية له شهادة مهمة عن علاقة الثورة بالإبداع المسرحي وهو هنا يفسر ظاهرة انطلاق مسرح الستينات كأهم ظاهرة ثقافية في العالم الثالث بقوله: يؤكد أنه يبقى من ثورة يوليو أشياء كثيرة منها الفكر الثوري، ورجال مازالوا يقودون الوطن، و الأعمال المسرحية التي قدمها جيل، كان يمثل هذه الثورة ثقافياً وإبداعياً مثل أعمال نعمان عاشور، وسعد الدين وهبة، ومحمود دياب، ونجيب سرور، وغيرهم من الرموز التي منحت المسرح المصري مكتبة من النصوص الدرامية، التي تعد ذخيرة أساسية للمسرح العربي كله، وتبقى الأفلام التي مازلنا نتثبث بها، ونعرضها في مناسباتنا القومية، مثل الأرض والناصر صلاح الدين، والقاهرة ٣٠، وغيرها من الأعمال السينمائية التي تشكل أهم مائة فيلم في تاريخ السينما العربية كلها..لقد ظهر جيل توفيق صالح ويوسف شاهين وصلاح ابوسيف وكمال الشيخ وهم رواد الإخراج السينمائي ظهروا في الحقبة الناصرية كعلامات مضيئة لفن نظيف وملتزم ، ويبقى من الثورة التأكيد أن الوطن لا يصنعه سوى شبابه، وأن هذا الشباب لا يصنع إلا بالعلم، ولذلك حرصت الثورة على تأكيد مبدأ العلم وأسست البنى لهذا العلم، وأبرزها في مجال الفن أكاديمية الفنون. ويضيف د.حسن عطية: تبقى من ثورة يوليو فكرة الوحدة العربية، التي تقوم على وحدة الأساس والشعب والتاريخ والآمال، وقد كشفت السنوات الأخيرة، أن هذا الوطن قد تمزق وكاد أن يضيع بعد ابتعاده وإنكاره لفكرة الوحدة العربية، وفي مجال المسرح - كظاهرة اجتماعية تعبر بالضرورة عن حركة الواقع، حدث نوع من الارتداد وحدث انفصام بين الجيل الجديد، والأجيال السابقة عليه ولم يحدث التطوير الصحيح للمسرح، وراحت الأجيال الجديدة، تقدم مسرحاً منفصماً

عن إبداعات الجيل السابق، وعندما فكرت هذه الأجيال - مؤخرا - في تقديم أعمال الستينيات، لم تدرك جيداً علاقة النص بزمن إبداعه، على سبيل المثال «ليلة مصرع جيفارا». كان هذا النص يرتبط بحركة الواقعين المصري والعالمي وقتذاك، ويمهد لما عرف باسم «ثورة الشباب» عام ١٩٦٨م، خاصة وأن جيفارا هذا المناضل الثوري، كان الشباب يعدونه - وقت ذاك - قدوة ومثالاً يحتذونه، ويضعون صورة مكبرة له على حوائط حجراتهم، بينما الشباب اليوم يضعون صوراً لمايكل جاكسون وعمرو دياب، وبدلا من ارتداء ما هو مرتبط بما هو مصري، نجد شبابنا يرتدون (الفانلات) و(الكاسيكاتا) التي تحمل شعار وعلم الولايات المتحدة الأمريكية، وقد انعكس هذا الواقع المتردي على العرض المسرحي الجديد، ويسري هذا على كل عروض المسرحين المصري والعربي حاليا، حيث تغيب النصوص القديمة عن التفاعل مع واقع مختل، وفي الوقت نفسه لا يخلق هذا الواقع أعمالاً مسرحية جديدة، ويدعونا هذا إلى المطالبة بعودة الفكر الثوري الذي كان وراء قيام ثورة يوليو، فنحن ندعو لعودة الفكر، لا عودة النظام الذي سارت عليه ثورة يوليو في ظروف منتصف القرن.

المثقف والثورة طليعة الطليعة

ويقول الروائي بهاء طاهر: وثورة يوليو كانت لا بد أن تقوم بسبب الأوضاع المتردية التي وصلت إليها البلاد على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وقبل الثورة كانت مصر عبارة عن عزبة بسبب وجود الاستعمار وكان له أشكال عدة استعمار إنجليزي وإقطاع وملكية وكلها قوى تنهش في الجسد المصري، وقد حققت ثورة يوليو ما يسمى بالعدالة الاجتماعية، وهو الشيء المنقوص قبل قيامها، فقد عاش المصريون في ليبرالية منقوصة، ولنعلم أن مصر خاضت في تلك الفترة معارك ضد المحتل والإقطاع والرأسمالية والنظام الملكي وهنا كان للمثقفين دور في الوقوف بجانب الثورة. وفي فترة الستينيات حصل المثقف على حقه كاملاً في التعبير عن رأيه، وليس بالضرورة أن يتطابق المثقف مع الثورة بل لابد أن يكون طليعيا يطمح إلى مزيد من التغيير ، ولكن لا ننكر أن الثورة في عهدها شهدت مولد أعظم الأعمال الأدبية مثل «أعمال نجيب محفوظ» ونعمان عاشور، والفريد فرج ويوسف إدريس فكلهم خرجوا وتربوا في عهد الثورة، ونحن الآن بحاجة إلى عصر الثورة والرجوع إليه، وإلى مشروع النهضة الأدبية والثقافية الذي بدأ منذ عهد الطهطاوي، وكان لهذا العهد أن يكتمل أيام الثورة لولا الأحداث، وفي الوقت الراهن انحسر المشروع الثقافي الوطني، واختفت الثقافة الوطنية. ترحموا معي ويضيف كاتب الدراما محفوظ عبدالرحمن: نحن الآن بحاجة إلى الثورة ومبادئها أكثر من أي وقت مضى، لأنها أحست بنبض الجماهير وانعكس ذلك على الكتابات والآراء وعلى الحركة الأدبية والفكرية، ولو كانت الثورة موجودة إلى الآن لتغير الكثير، خاصة في الاهتمام بقضايا العدالة الاجتماعية فالشعب المصري مطحون مادياً، ولا تعبير عن ذلك إلا من خلال الأعمال الفنية والأدبية التي تناقش ذلك، فأين هي الآن؟ ويتفق الفنان حمدي أحمد معه ويقول أنني أترحم على أيام ثورة يوليو في ظل تلك الأوضاع المتردية والحركة الفنية الغائبة، فعندما كانت مؤسسة السينما تقدم كل عام ٢٠٠ فيلم من وجدان الأدب المصري والعالمي، أترحم على ما آلت إليه السينما المصرية من تشويه للشخصية والأسرة المصرية، وعندما أسست مكتبة بها ما يقرب من ألف كتاب بأقل الأسعار التي في متناول يدي وكان راتبي لا يتعدي ألـ ٢٥ جنيه، أترحم على أيام الثورة فالرجاء أن تترحموا معي.

ومن الآثار الباقية لثورة يوليو التي تهم المثقفين العرب، هي خصوصية الرواية العربية، وخصوصية الشعر العربي، اللتان تقربان المثقفين العرب من بعضهم بعضا، بالإضافة إلى المؤسسات الثقافية، التي أنشئت في هذه الفترة مثل (الكونسرفتوار) والبرنامج الموسيقي، والبرنامج الثقافي، وسلاسل الهيئة العامة للكتاب، والهيئة العامة لقصور الثقافة كلها لاتزال قائمة، وتقدم - رغم كل السلبيات - الكثير للثقافتين المصرية والعربية، ولا تنس المجلس الأعلى للثقافة ودوره في الإسهام

في إستقبال نازك الملائكة الشاعرة العراقية

بإثراء حركة الترجمة والانفتاح على الثقافة الأجنبية وكلها إنجازات ثقافية من آثار ثورة يوليو، ولاتزال قائمة وتقوم بدورها حتى اليوم، والملاحظ هذه الأيام أن قضية العدالة الاجتماعية لم تعد تشغل بال المثقف، فالاهتمام بالإصلاح الزراعي، وحقوق العمال والفلاحين، قد تراجع لطبيعة التحولات التي تمثلت في المرحلة الراهنة التي تخص الانفتاح والخصخصة، وللعلم ان المثقفين ليسوا من أنصار هذا الاتجاه، وهناك نغمة سائدة وسط النقد الحالي، تتحدث عن خيبة الآمال في المشروع القومي، والقومية العربية، مما دفع المثقفين الي الانكفاء على خبراتهم الذاتية، بعد أن فقدوا الثقة في الشعارات السابقة والعمل الجماعي. ضياع الأحلام الروائي محمد البساطي يقول: مكاسب ثورة يوليو انتهت ولم يتبق منها سوى العسكر، وبعض المتحمسين من جيل الستينات، وبعد ضياع الأحلام والمكاسب، عجزوا عن فعل شيء، وما علينا الآن سوى الاحتفال بتاريخ مضي، ومن أكبر اخطاء الثورة أنها لم تكن تحمل مقومات الاستمرار وماتت بموت زعيمها. وجاء الرئيس السادات بقرار ألغى ثورة يوليو، وأصبح من ينادي بمبادئ الثورة، من الأدباء والمفكرين وكأنه يصرخ في مالطة. ويضيف: هناك عزلة ومرارة لدي جيل الستينيات، لأنه بضياع الطموح لم يجد جيلنا ما يقدمه للأجيال اللاحقة.. ويجب أن نعترف أن التواصل موجود بشكل أو بآخر، فنحن لم نأت من فراغ، فقد تواصلنا مع كتابات نجيب محفوظ ويوسف إدريس ويحيى حقي، وكانت هناك رؤية وسمات حقيقية لأبناء الجيل الواحد، ولهذا أرى أن ما تردد حول أننا جيل بلا أساتذة، هو من ضروب السذاجة.. جيلنا عاش الحلم والانكسار، أما الأجيال اللاحقة فهي أجيال الصدام التي عاشت الهزيمة الكاملة، أو التحولات الجذرية التي أطاحت باستمرارية الثورة، فالقضية الآن هي مناقشة المعطيات التي استجدت، وليس استعادة مرحلة مضت. أزمة قادمة

يقول الأديب الكبير جمال الغيطاني:

الثقافة كما عرفها طه حسين تبدأ من التعليم ، فالتعليم عنده هو " مستقر الثقافة"، فإذا أردنا أن نحسب ما للثورة وما عليها في علاقتها بالثقافة ، وجبت الإشارة أولا إلي دور الثورة في فتح أبواب التعليم بالمجان لأبناء الشعب، وتطويره ، والدخول به إلي مجالات جديدة ، وبتلك الخطوة الثقافية الحاسمة " تثقف " مئات الآلاف من أبناء الشعب . نحن أبناء عبد الناصر الفقراء تعلمنا في ظله وبدونه مادخلنا مدرسة ولاوصلنا إلى مانحن فيه اليوم،حتى بعد التراجع الرهيب في الإنتاج الثقافي المصري بعد عبد الناصر لاتزال القيم الأساسية للناصرية هي ضا بط

ا لإ يقا ع للضمير الثقافي ،ومن هنا تبدو أهمية تطوير الثقافة يحتم أيضا وجود بنية ومؤسسات ومراكز بحث وغير ذلك ، وفي هذا المجال سنجد أن الثورة هي التي أقامت كل الأبنية التي مازالت تعمل بدءا من قصور الثقافة والمجلس الأعلى وأكاديمية الفنون ووزارة الثقافة التي كانت عند إنشائها الوزارة الثامنة من نوعها في العالم . أما المعيار الثالث والأخطر ، والذي يتم تجاهله عادة ، فهو معيار ومفهوم " الثقافة المادية " ، فنحن نخطيء كثيرا حين نتصور أن الثقافة هي فقط ما يتعلق بالقسم المعنوي ، الروحي ، الذهني . فعندما تبزغ الثورة في مجتمع زراعي ، وتقيم المصانع والمعامل والسدود ، فإنها تنشر في واقع الأمر ثقافة جديدة ، لأن الأدوات والمنجزات المادية تستدعي معها ثقافتها . وشتان بين فلاح ينتظر المطر ليروي أرضه ، وفلاح آخر يتحكم في المياه بالسدود ، فلابد أن تتشكل للفلاح الأول ثقافة الإيمان بالقدر ، بينما تتبلور لدي الثاني ثقافة الإيمان بقدرة الإنسان . وعندما تأتي الثورة وتقيم السد العالي وتبني بكهربائه المصانع ، فإنها تنشر بتلك المصانع ثقافة أخرى في مواجهة ثقافة الحقول ، وعندما تصبح الطاقة الكهربائية متاحة ويعم معها استخدام الأدوات المختلفة كالثلاجة والتلفزيون وغيرها ، فإن ثقافة أخرى تكنولوجية تعم وتروج وتخلق إنسانا آخر بعقلية أخرى . لقد ثقفت الثورة الشعب المصري بالسد العالي ، والمصانع ، والكهرباء ، والتعليم ، وغيرت مفاهيمه القديمة وبدلتها فيما يتعلق بأدق القضايا وأكثرها عمومية . ومازلت أذكر أغنية لنجاة الصغيرة من تلحين محمد عبد الوهاب كانت كلماتها تقول " كانوا بيقولوا الست ح تفضل زي ما هي .. ييجوا يشوفوا الست أهي صبحت ميه ميه " . فالمصانع ، وتفتيت الإقطاع ، استوجب معه ثقافة المرأة العاملة بالضرورة ، واستدعى معه ثقافة احترام المرأة ، وتقدير دورها . ولم يكن ذلك كله موجودا . أخيرا ألم يكن إلغاء الألقاب ثقافة ؟ ألم يكن وقف مخاطبة الآخرين ب " معالي الباشا " و " سعادة البك " ثقافة أخرى ترسخ مفهوم المساواة بين البشر؟ . ألم يكن دعم حركات التحرر تثقيفا للشعب يرسخ في ضميره أن هموم البشر وقضايا الحرية كل لا يتجزأ ؟ .

هذا كله بالطبع إذا جعلنا من مفهومنا للثقافة مفهوما أكبر من " ثقافة النخبة التي تخلقها صفوة مبدعة " . وحتى بمعيار ثقافة النخبة ،

في الذكرى الثامنة والخمسون للثورة

سنظل نذكر لسنوات الثورة ، أننا حين كان تعداد الشعب المصري نحو ثلاثين مليون نسمة ، كانت لدينا عشرات المجلات المتخصصة منها مجلة " القصة " ، والآن ونحو نناهز الثمانين مليون نسمة ليس لدينا مجلات متخصصة للثقافة ! وسنظل نذكر للثورة – حتى بمفهوم ثقافة النخبة – أنها لم تضيق على أحد في مجال الأدب ، فقد نشرت في حينه رواية نجيب محفوظ " أولاد حارتنا "، ومسرحية " بنك القلق " لتوفيق الحكيم ، و" شيء من الخوف " لثروت أباظة التي تحولت إلي فيلم ، والكثير مما بدا في حينه خصما للثورة . ، لكنها لم تضيق على حرية المبدعين تحديدا في مجال الأدب والفكر، كما أنها طورت الثقافة المصرية إلي أبعد مدى إذا نظرنا للثقافة بمفهومها الاجتماعي العام ، الأبعد من حدود " الروايات والشعر والمسرح والسينما " .

وفي كتابه "مذكراتي في السياسة والثقافة"يوضح ثروت عكاشة جانبا من ابرز مشاريع الثورة الثقافية بقوله"وكان تطوير مشروع الألف كتاب إحدى مهام الثورة المهمة ، ثم وضعنا خطة للنشر ، هدفها إتاحة الكتاب بقروش قليلة ، وكان إنشاء مبنى جديد لدار الكتب إحدى المهام العاجلة كذلك ، بعد أن ارتفعت مقتنيات دار الكتب في عام ١٩٥٩ إلى ٥٠٠ ألف مجلد ، بما لم يكن يسمح بصيانتها وعرضها للتلف ، وهو المشروع الذي لم يكتمل حتى أوائل السبعينات .

هذه الانجازات وغيرها كثير يعود الفضل فيها إلى الثورة وقائدها والإيمان الراسخ بدور الثقافة في حماية المنجزات الثورية"

وفي كتاب "عبد الناصر والمثقفون والثقافة». يتوقف الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل عند بعض نقاط تحدد طبيعة العلاقة بين عبد الناصر والمثقفين.و يقول مثلا أن الرئيس عبد الناصر كان قارئا جيدا وان قراءته لقصة «مدينتين» للروائي الانجليزي الكبير تشارلز ديكينز جعلته يرفض إعدام الملك فاروق ، ويختار إرساله إلى المنفى ذلك أن الدم لا يفضي الا الى مزيد من الدم. كما انه كان يتابع كل ما يكتبه المثقفون والكتاب المرموقون في مصر وخارج مصر، وانه كان يكن ودا كبيرا لتوفيق الحكيم الذي قرأ له «عودة الروح» قبل ثورة يوليو (تموز) ١٩٥٢ والذي سيكتب عنه بعد وفاته كتابه الشهير: «عودة الوعي». ويذكر محمد حسنين هيكل أيضا ان الرئيس جمال عبد الناصر هو الذي وافق على مواصلة نشر كتاب توفيق الحكيم «بنك القلق» مسلسلا في «الأهرام» رغم ان المشير عامر اعتبره مسيئا للنظام وللمخابرات المصرية تحديدا. كما انه عاضد نجيب محفوظ لما شن عليه شيوخ الأزهر حملة شعواء اثر نشره روايته: «أولاد حارتنا». ويؤكد لنا محمد حسنين هيكل ان الرئيس جمال عبد الناصر ظل يحترم ويقدر كلا من الدكتور طه حسين وعباس محمود العقاد رغم انهما تعاونا مع النظام الملكي الذي أطاح به. وبالتالي، فانه يمكن القول ان الفترة الناصرية لم تكن فترة صعبة بالنسبة للثقافة والمثقفين وان عددا كبيرا منهم أنتجوا اهم أعمالهم خلالها. يكفي ان نذكر نجيب محفوظ و يوسف

٢٣ يوليو

٥٨ عـامـاً

إدريس على سبيل المثال لا الحصر.

عبد الناصر والفن التشكيلي

ويختلف اثنان حتى من بين الحاقدين على ان الفن التشكيلي شهد نهضة كبيرة في ظل الثورة فقد نزل الفنانون إلى الريف والمصانع ومحطات القطارات ينشرون الفن التشكيلي بين الفقراء ويرفعون وعيهم من خلال الألوان والظلال ،يقول الناقد بدر الدين أبوغازي فى دراسة نشرت عام ١٩٧٠م "كانت الفنون قبل عهد عبدالناصر، بل كانت الشئون الثقافية كلها يعوزها كيان كبير يجمعها ويحقق لها تناسق الفكر والتخطيط والعمل، فلما تحقق لأجهزة الثقافة وجود كيان كبير بين أجهزة الدولة تفجرت ينابيع الإبداع فى الفنون".

فظهر نشاط المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وإنشاء كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية، وأكاديمية الفنون بالهرم، ووزارة الإرشاد القومي، تلك المؤسسات التي هيأت ميزانيات لاقتناء أعمال الفنانين وإقامة متاحف، وتحويل بعض البيوت الأثرية إلى مراسم للفنانين وإعداد قاعات المعارض، ودعت الثورة إلى إحياء الفنون والحرف التقليدية. فيما تم تدشين أول بينالى بالإسكندرية وافتتحه الرئيس عبدالناصر فى العام ١٩٥٥م، ليشارك فيه دول حوض البحر الأبيض المتوسط، لتخرج مصر من محيطها الإقليمى إلى ثلاث دوائر مع دول البحر الأبيض، والدول العربية والثانية مد الجسور مع محيطها الإفريقى وتشجيع حركات التحرر من الاستعمار القديم، أما الدائرة الثالثة وهى التوافق مع دول تشترك معها فى التاريخ والكفاح والنضال والطموح التنموى ممثلة فى دول عدم الانحياز.

اشترك أغلب الفنانين مع فجر الثورة المصرية فى التعبير عن مظاهر التحول الاجتماعى وسخونة الأحداث السياسية الكبرى، كما أن طموح المثقفين و ا لفنا نين

عبد الناصر يشاهد لوحة زيتية رسمها الفنان السورى حمص اثناء زيارته الى سوريا [١٠ يناير ١٩٦٥]

والطليعة الثورية قبل تفجر الثورة التقى مع الكثير من منطلقات الثورة فى التغيير والتحديث والحرية.

بل إن الثورة اكتسبت شريعتها وعززت من مواقفها من خلال إيمان العديد من فنانى جيل الخمسينات بالمبادئ الثورية الجديدة، وهو ما تجلى فور وقوع العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦م فقد خرج الفنانون بأعمالهم إلى الشوارع للتواصل مع الناس وإلى المقاهى لعرضها، وكان أبرز هذه الفعاليات المهرجان الذى نظمه الكاتب الصحفى "كمال الملاخ" فى مقهى الباشا بحى عابدين فى ٤ ديسمبر ١٩٥٦م، فيما أقام صاحب المقهى سرادقا لمدة عشرة أيام، عرضت فيه لوحات وأعمال الفنانين ليطالعها الجمهور على مدار الساعة، كما أقامت جمعية خريجى كلية الفنون الجميلة معرض الكفاح الشعبى بالتعاون مع الشئون العامة للقوات المسلحة فى محطة السكة الحديد ببورسعيد، لتكون هذه الأعمال الفنية هى أول ما يراه أهالى بورسعيد عند عودتهم إلى مدينتهم من هجرتهم، فى الوقت الذى أقامت فيه جريدة المساء، معرض كفاح الشعوب فى حديقة الأزبكية وكان يتنقل فى مواكب يومية من ميدان إلى آخر.

تبنت الثورة مفهوما يتفق مع شرعية التغيير إن الفن ليس ترفاً، بل إنه تعبير عن التجارب وا لعوا طف

٢٣ يوليو

٥٨ عـــامـــاً

والآمال والمثل العليا، وهو ما عبر عنه الرئيس جمال عبدالناصر فى خطاب ألقاه فى عيد العلم عام ١٩٦٠م بقوله: "إن أبرز أسباب أزمة عالمنا اليوم أن طاقاته المادية غلبت على طاقاته الروحية وأصبحت عضلاته أقوى من عقله".

وعن الناقد والفنان التشكيلي الناصري سيد هويدي إطلالة مهمة على علاقة الثورة بالفنون التشكيلية كافة وهو كتب "جاء عطاء فناني الخمسينات بعد الثورة كامتداد طبيعي لما كانت تموج به الحياة الثقافية والفنية فى الأربعينات من أفكار واتجاهات وطموحات وتطلعات تلك الفترة التى اتسمت بنشاط مؤثر وفاعل للجماعات الثورية، وتنفرد جماعة الفن المصري الحديث التي انطلقت مع أول معارضها فى عام ١٩٤٦م بأنها جمعت فى نشاطها بين فترة ما قبل الثورة وبعدها وكانت فى نشاطها ترتبط بمنظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)، فى إطار فكرى يتحيز للطبقات العاملة من المجتمع ويتبنى نضالها وكفاحها من أجل حياة أفضل والبحث التشكيلي الجمالى عن شخصية فنية مصرية مستقلة وإن كان لأول مرة يتجه النشاط الفكري والإبداعي داخل الجماعة مسارين الأول استهدف الوصول إلى ملامح شخصية مصرية مستقلة، وطابع قومي يميز الفن المصري، لكن من خلال الأساليب الغربية الحديثة، ويمثل هذا الاتجاه عز الدين حمودة، يوسف سيده، زينب عبدا لحميد، صلاح يسرى، أما المسار الثانى والذى اتسقت معه أفكار وتوجهات جاذبية سرى فقد كان فنانو هذا الاتجاه يبشرون فى أعمالهم بالواقعية المصرية الحديثة فى الفن، وحرص أفراده على البحث التقنى والجمالى فى إطار الالتزام بقضايا البناء الاجتماعى الوطنى، باعتبار الفن التشكيلى مكونا أساسيا فى الثقافة المصرية الشعبية، كموروث حضارى، للدرجة التى تصل إلى أن يعلنوا عن طموحهم وهو التثقيف بالفن.

يقول محمد حامد عويس أبرز أعضاء الجماعة: كان بيان الجماعة يحث على إبداع فنى يدعو الناس إلى الاستيقاظ والثورة على الأوضاع السائدة، فى وقت كانت مصر تعانى من وطأة استعمار إنجليزى وتردى الأوضاع وصراع وفساد الحياة الحزبية.

يقول حامد عويس: كلنا ارتبطنا بأفكار ثورة يوليو حتى من قبل قيام الضباط الأحرار بالثورة فى عام ١٩٥٢م، فقد تمثلت بذور الثورة مع الغضب الجماهيرى على الظروف السائدة سواء إثناء الحرب العالمية الثانية أو بعد نكبة فلسطين.

مواقف ثورية

وعند الحديث عن الفن والثورة هناك ضرورة للتفرقة بين مواقف ثورية تصب فى المد الثورى يقوم بها فنانون وتنطوى على تمرد بهدف تغير الأوضاع ككل، والفن تعبيرا عن الثورة كحدث.

فى الوقت الذى روج البعض إلى أن الفن لا

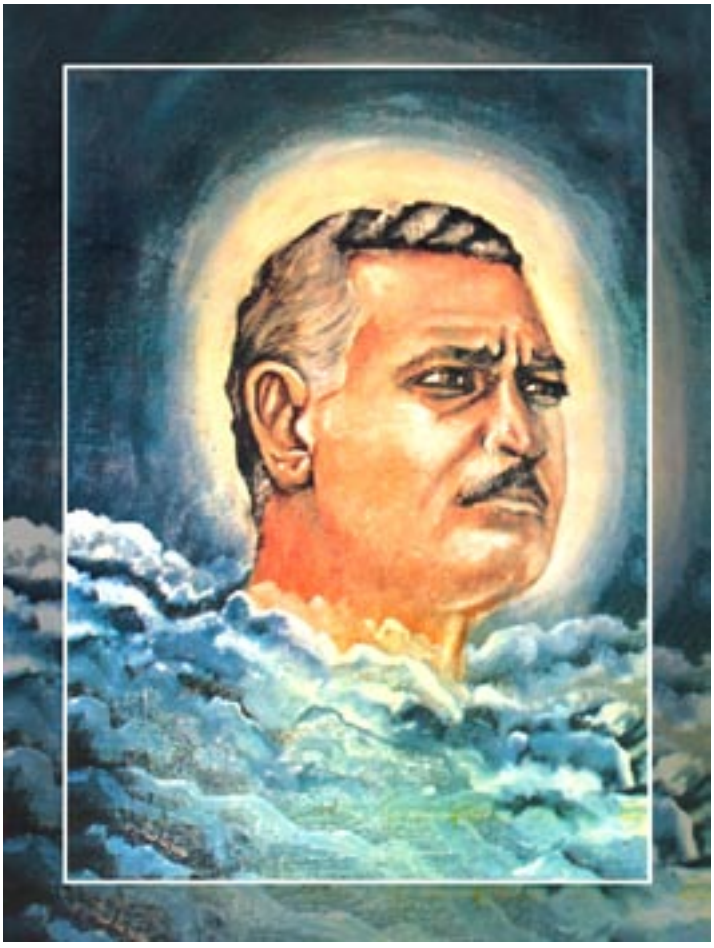

يسير عادة بسرعة الثورات، إنه يتمهل حتى يصل العمل الثورى إلى مرحلة مكتملة، ولهذا فنحن فى انتظار اللحظة الحاسمة للانطلاق الرائع ومع ذلك سادت فكرة العمل بأقصى ما تكون عليه الحرية من مدلول، على أن يكون الهدف لصالح الجميع حيث تناغمت رؤى الفنان مع إرادة بناء السد العالى والاندفاع نحو التشييد، بل ظهرت العناصر الجديدة وإشارتها فى ملامح فن المرحلة، حيث أصبح العمال والفلاحون البسطاء أبطالاً فى لوحات وتماثيل جيل بالكامل بداية من "حامد عويس" (١٩١٩) و"محمد مصطفي" (١٩٢٤ . ١٩٨٧) و"محيى الدين طاهر" (١٩٢٨ . ١٩٩٣) و"عبدالله جوهر" (١٩١٦ . ٢٠٠٦)، "سيد عبدالرسول"، (١٩١٧ . ١٩٩٥م)، "محمد طه حسين" ١٩٢٩م. "رمزى مصطفى (١٩٢٦) "حسن حشمت" (١٩٢٢) و"محمد هجرس" (١٩٢٤ . ٢٠٠٤) و"سيد أبوالسعود" (١٩٢٩) و"أنور عبدالمولي" (١٩٢٠ . ١٩٦٦).

ومما لا شك فيه أن التحول الثورى فجر ينابيع من الانفعالات والمواقف المؤيدة للتغيير حيث يروى حامد عويس أحد رواد الواقعية فى مصر والعالم جنباً إلى جنب مع رواد الفن المكسيكى العظام ديجو ريفيرا أوروزكو ويقول: سيطرت علينا فرحة عندما سمعنا أول بيان للثورة ونحن على متن المركب الإيطالى (سيبيريا) فى طريقنا إلى حضور بينالى فينيسيا، مع حسن فؤاد، جمال كامل، عبدالغنى أبو العينين، كمال الملاخ، أنيس منصور، لبنى عبدالعزيز، سيف وانلى، وأخيه أدهم، عندما وصلنا البينالى وجدنا تمثالاً للملك فاروق يعترض طريقنا فى مدخل الجناح المصري. ويضيف عويس وبالفعل رفع، وبعد عودة عويس قام برسم لوحة كبيرة تصور خروج الملك بمساحة مترين فى متر ونصف بأسلوب الواقعية الاجتماعية الاشتراكية التى تعرفت عليها فى إيطاليا.

وفى هذا السياق نستطيع أن نفسر موقف الفنان "رمسيس يونان" (١٩١٣ . ١٩٦٦) أحد أعضاء جماعة الفن والحرية، عندما رفض إذاعة بيان فى الإذاعة الفرنسية بباريس أثناء عمله هناك، بيان يناهض الحكومة المصرية أثناء دفاعها عن نفسها لصد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦، وهو الرفض الذى كلفه العودة لمصر والتضحية بمستقبل مهنى وحياتى مضمون

يقول المفكر المعروف جلال أمين: كانت الفترة «١٩٥٥ ـ ١٩٦٥» فترة ذهبية فى حياة الثقافة المصرية، وكان من الأسباب الرئيسية لهذا الازدهار، بلا أدنى شك، الكسر الذى أحدثته الثورة فى ذلك الحاجز الطبقى المنيع الذى كان يحرم شرائح واسعة ومواهب عظيمة من الظهور فى مختلف ميادين الثقافة (فى القصة القصيرة والرواية والمسرح والشعر والسينما والموسيقى والغناء بل وحتى الرقص)، هذا الكسر الذى ازداد أثره بظهور عدة قوانين اشتراكية مهمة بعد قانون الإصلاح الزراعى.

عبد الناصر وثقافة المقاومة

الثورة مهدّت لثقافة المقاومة فكان الدعم المطلق للثورة الفلسطينية التي وجدت لتبقى وستبقى بإذن الله حتى التحرير. والمقاومة الوطنية في لبنان ولدت من رحم هذه الثورتين كما أن المقاومة القائمة اليوم في العراق وفلسطين المحتلة تتكامل مع المقاومة في لبنان في محور ممانع للاحتلال ومشاريع الهيمنة والتفتيت.

فحرية الأرض والمواطن مشروع متكامل أسست له ثورة ٢٣ يوليو. فالحرية المنبثقة من وجدان وتراث هذه الأمة تعني حرية الأرض من المحتل القديم الجديد وحرية الإنسان الذي يتحوّل إلى مواطن متحرر من أغلال الفقر والتخلّف. فإذا كانت التنمية المستقلة المستديمة الوسيلة لتحقيق ذلك فإن قاعدتها هي المعرفة الناتجة عن العلم. من هنا كانت إنجازات الثورة في فتح الجامعات والمدارس لأبناء الشعب الكادح. وهذه المعرفة تؤسس إلى فكر إنساني حيّ هو يقين فكرنا القومي.

فالفكر الناصري لم يكن في يوم من الأيام متحجرا في الشكل أو المضمون بل كان ومازال وسيستمرّ في التطوّر لأنه فكر إنساني بامتياز نابع من وجدان الأمة ومن وقائعها الموضوعية والذاتية سواء على مستوى الجغرافيا والتاريخ أو على مستوى اللغة والدين والمصير المشترك ناهيك عن الإرادة والمصلحة المشتركتين في بناء مستقبل لأبناء هذه الأمة في الحرية والكرامة والاكتفاء والاعتزاز بالنفس.

والملفت للنظر أن رغم الأموال الطائلة التي أنفقت في شراء الذمم والضمائر للنخب المثقفة لتروّج ثقافة الهزيمة و"الواقعية" ونبذ "اللغة الخشبية" أو "الظاهرة الصوتية" التي تشكلها القومية العربية غير أنها لم تستطع أن تغيّر أي شيء في نفوس الجماهير رغم القمع والاستبداد وملاحقة أصحاب الرأي الحر. هذه النتيجة تؤكد أن المقاومة والممانعة ما زالتا في صميم وجدان واهتمام الجماهير العربية.

إن أروع ما في الناصرية هي أنها شكلت الوعي العربي القومي وصارت مقولاتها الأساسية مفردات للمفكر والمثقف العربي في ارض الواقع صارت كلمات من نوع العدل الاجتماعي والوطن العربي والعروبة والتغيير الثوري والوحدة العربية وفلسطين مفردات لاغني عنها للخطاب الشعبي العربي وهي في الأصل مكونات قاعدية للخطاب القومي الناصري.

عبد الناصر يقدم جائزة الدولة التقديرية للدكتور طه حسين عميد الأدب العربي

ثورة يوليو والثقافة

د. أحمد الخميسي

بمناسبة مرور ستة وخمسين عاما على ثورة يوليو تجدد الكلام عن علاقة الثورة بالثقافة سلبا وإيجابا . وفي كل ما قرأته ، سواء أكان دفاعا أم هجوما ، كانت الثقافة التي يدور الحديث عنها هي الكتب والسينما والشعر والرواية والمسرح ، تلك هي الثقافة التي انتفعت أو تضررت سنوات الثورة ، والمثقفون هم المشتغلون في دوائر الإبداع الذين عانوا من بطش الثورة أو عاشوا في نعيمها . ومن هذا المنظور يجري طرح علاقة الثورة بالثقافة . إلا أن هناك قصورا شديدا في ذلك الفهم ، لأن الثقافة على الأقل كما عرفها طه حسين تبدأ من التعليم ، فالتعليم عنده هو " مستقر الثقافة"، فإذا أردنا أن نحسب ما للثورة وما عليها في علاقتها بالثقافة ، وجبت الإشارة أولا إلي دور الثورة في فتح أبواب التعليم بالمجان لأبناء الشعب، وتطويره ، والدخول به إلي مجالات جديدة ، وبتلك الخطوة الثقافية الحاسمة " تثقف " مئات الآلاف من أبناء الشعب . تطوير الثقافة يحتم أيضا وجود بنية ومؤسسات ومراكز بحث وغير ذلك ، وفي هذا المجال سنجد أن الثورة هي التي أقامت كل الأبنية التي مازالت تعمل بدءا من قصور الثقافة والمجلس الأعلى وأكاديمية الفنون ووزارة الثقافة التي كانت عند إنشائها الوزارة الثامنة من نوعها في العالم . أما المعيار الثالث والأخطر ، والذي يتم تجاهله عادة ، فهو معيار ومفهوم " الثقافة المادية " ، فنحن نخطيء كثيرا حين نتصور أن الثقافة هي فقط ما يتعلق بالقسم المعنوي ، الروحي ، الذهني . فعندما تبزغ الثورة في مجتمع زراعي ، وتقيم المصانع والمعامل والسدود ، فإنها تنشر في واقع الأمر ثقافة جديدة ، لأن الأدوات والمنجزات المادية تستدعي معها ثقافتها . وشتان بين فلاح ينتظر المطر ليروي أرضه ، وفلاح آخر يتحكم في المياه بالسدود ، فلابد أن تتشكل للفلاح الأول ثقافة الإيمان بالقدر ، بينما تتبلور لدي الثاني ثقافة الإيمان بقدرة الإنسان . وعندما تأتي الثورة وتقيم السد العالي وتبني بكهربائه المصانع ، فإنها تنشر بتلك المصانع ثقافة أخرى في مواجهة ثقافة الحقول ، وعندما تصبح الطاقة الكهربائية متاحة ويعم معها استخدام الأدوات المختلفة كالثلاجة والتلفزيون وغيرها ، فإن ثقافة أخرى تكنولوجية تعم وتروج وتخلق إنسانا آخر بعقلية أخرى . لقد ثقفت الثورة الشعب المصري بالسد العالي ، والمصانع ، والكهرباء ، والتعليم ، وغيرت مفاهيمه القديمة وبدلتها فيما يتعلق بأدق القضايا وأكثرها عمومية . ومازلت أذكر أغنية لنجاة الصغيرة من تلحين محمد عبد الوهاب كانت كلماتها تقول " كانوا بيقولوا الست ح تفضل زي ما هي .. ييجوا يشوفوا الست أهي صبحت ميه ميه " . فالمصانع ، وتفتيت الإقطاع ، استوجب معه ثقافة المرأة العاملة بالضرورة ، واستدعى معه ثقافة احترام المرأة ، وتقدير دورها . ولم يكن ذلك كله موجودا أخيرا ألم يكن إلغاء الألقاب ثقافة ؟ ألم يكن وقف مخاطبة الآخرين ب " معالي الباشا " و " سعادة البك " ثقافة أخرى ترسخ مفهوم المساواة بين البشر؟ . ألم يكن دعم حركات التحرر تثقيفا للشعب يرسخ في ضميره أن هموم البشر وقضايا الحرية كل لا يتجزأ ؟ . هذا كله بالطبع إذا جعلنا من مفهومنا للثقافة مفهوما أكبر من " ثقافة النخبة التي تخلقها صفوة مبدعة " . وحتى بمعيار ثقافة النخبة ، سنظل نذكر لسنوات الثورة ، أننا حين كان تعداد الشعب المصري نحو ثلاثين مليون نسمة ، كانت لدينا عشرات المجلات المتخصصة منها مجلة " القصة " ، والآن ونحو نناهز الثمانين مليون نسمة ليس لدينا مجلات متخصصة للثقافة ! وسنظل نذكر للثورة – حتى بمفهوم ثقافة النخبة – أنها لم تضيق على أحد في مجال الأدب ، فقد نشرت في حينه رواية نجيب محفوظ " أولاد حارتنا "، ومسرحية " بنك القلق " لتوفيق الحكيم ، و" شيء من الخوف " لثروت أباظة التي تحولت إلي فيلم ، والكثير مما بدا في حينه خصما للثورة . لقد ضيقت الثورة على الحريات السياسية تضييقا شديدا ، واعتقلت الكثيرين من المثقفين الذين حركهم الهم السياسي ، لكنها لم تضيق على حرية المبدعين تحديدا في مجال الأدب والفكر، كما أنها طورت الثقافة المصرية إلي أبعد مدى إذا نظرنا للثقافة بمفهومها الاجتماعي العام ، الأبعد من حدود " الروايات والشعر والمسرح والسينما " .

بيان صادر عن حركة القوميين العرب في ذكرى ثورة مصر ٢٣ تموز عام ١٩٥٢

يا جماهير شعبنا العربي الصابر المكافح
أيها الأخوة في كل مكان

ماذا تبقى من ثورة ٢٣ تموز يوليو المجيدة، بعد أن أشعلت لسنوات الثورات التحريرية على امتداد الوطن العربي وفي كل مكان، بعد أن أقامت العدالة ودولة الوحدة الأولى وصروح البناء،

لقد استطاع قادة ثورة ٢٣ تموزالعربية المصرية بزعامة القيادة التاريخية الإستثنائية لجمال عبد الناصر إلتقاط اللحظة التاريخية التي التفت إليها العالم أنذاك والمتمثلة بما يلي :

١-انقسام عالمي وظهور المعسكر الإشتراكي الشرقي المناقض في بنيته وأهدافه للعالم الرأسمالي الجائرو المستغل، وفي انتهاء دور الرجعية العربية ووظيفة الرأسمالية المحلية المتكونة وملحقاتها العاملة على مراكمة الإستغلال المركب لشعوبها لصالح الغرب الرأسمالي، ووجود شعب عربي مقهور عركته التجارب المرة وحفزته الإحباطات والنكبات إلى تحول نوعي في الوعي والإدراك لرفض الحكومات القطرية العقيمة، والتطلع إلى الوحدة وتحرير ما اغتصب من أراضيه،

٢-إن ما وصل إليه الشعب العربي من تقدم في القرن الواحد والعشرين، كنتيجة للتطور الطبيعي محاكاة للتطور العالمي أو نتيجة لما وصل اليه بالجهد البنائي واستغلال الثروات الطبيعية في أراضيه، فإن هذا التقدم لا يقاس بما كان عليه الوضع في منتصف الخمسينات من القرن العشرين، لكنه بالمقارنة ظل متباطئا إلى حد التخلف قياسا لما يجب أن يكون عليه وبمستويات التقدم العالمية، ومع ذلك فإن هذا الوضع قد أنشأ حالة لها متطلباتها الجديدة مع نشوء أجيال جديدة وتكوين طبقات مجتمعية جديدة، لم تساهم في إنشاء أنظمة هذه الدول كما لا تسمح لها طبيعتها السياسية في إنشاء أنظمة دول جديدة، يمكن أن تنقلب ضد تكوينات السلط السائدة على نظم الدول العربية، وهكذا كان لا بد أن تتحول الأهداف والشعارات والأناشيد إلى عبارات لا معنى لها بالنسبة لها، وإن تغنى بها وأعاد إطلاقها أولئك المتمسكون والباقون في مواقعهم ومناصبهم تعمية لمواقف باتت في معظمها ضد رغبات شعوبهم،

٣-إن مبادئ الشعوب القومية في التحرر والوحدة والتقدم وصولا إلى مجتمع الرخاء الاقتصادي و اكتمال حرية الإنسان هي من الثوابت التي تحرص عليها كل الشعوب المستقرة، والتي عملت على إطلاقها وتحقيقها وترسيخها ثورة ٢٣ تموز يوليو في مصر وإلى تعميمها في كل دول العالم المستضعف،

لكن بالمقابل فإن تلك الدول ونظمها ومنها معظم الدول العربية قد أحدثت تحولات مجتمعية جديدة لدى شعوبها في مسيرة حكمها، إذ أفقدت ارتباط أعداد متزايدة من الأفراد بالعمل والإنتاج وبما ينتج هذا الإرتباط من تطوير لمفهوم النظم والأعراف وبالتالي ضرورة قيام الدولة الوطنية وترسيخ مفهومها، كما أن الضغوط الدولية المتزايدة من قبل منظومة الدول الخاضعة للرأسمال العالمي أفقدت معظم النظم الدولتية في الدول العربية القدرة على الحركة لمتابعة المطالبة بالحقوق القومية، كما أفقدتها القدرة على متابعة تطوير برامجها الدولتية والإنتقال من مرحلة بنائية إلى أخرى للمساهمة في تطوير إقتصادها أو حتى المطالبة بعدالة حقوقها الوطنية، وقد انعكس هذا سلبا على تطور أدائها السياسي لتعميم الحريات الديمقراطية على غرار الدول الغربية، وبين الثوابت الوطنية والقومية والمتحولات المجتمعية فقد نشأت حالات مرضية مضادة لبقاء الدولة الوطنية في اتجاه مجتمع الفوضى، اتخذت طابع المطالبات السياسية الإنسانية والديمقراطية البريئة، بتغييب متعمد للأسس البنائية في تكوين ونشوء الدولة الطبيعي، ذلك بتحريضات من دوائر الدول الأورو أمريكية، لتقويض كل الجهد البنائي لشعوب تلك الدول كما حدث في العراق،

إلا أن رغبات الشعوب الطبيعية لتحقيق العدالة في مجتمع السلم والوفرة والحريات الديمقراطية، باتت تتناقض كليا مع توجهات معظم السلط العربية وما يتبع لها ولدوائرها من أفراد في حالتها الجديدة، تلك السلط السائرة في اتجاه تقديم المزيد من التنازلات إلى الرأسمال العالمي على حساب طموحات شعوبها، إن كان رغبة في المشاركة الإقتصادية أو الإنخراط في النظام الدولي الجديد سعيا إلى التسويات أو تلافيا للضغوط من أجل الإستقرار، مع الإغفال لدور وطبيعة هذا الرأسمال الذي دأب تاريخيا على السعي إلى مزيد من الربح عبر استثمار أمواله لمزيد من النهب المجاني لثروات شعوب المناطق المقهورة،

إن الشعب العربي بمختلف شرائحه قد صبر وقدم التضحيات من أجل دعم قوى منظوماته الدولتية من أجل إنتاج مجتمع أفضل مجتمع آمن، إلا أن معظم سلطات هذه الدول قد آثرت المغامرة بكل تضحياتها وثرواتها، وبخط معاكس لمبادئ ومسار ثورة ٢٣ تموز، وارتضت أن تقدمها مجانا إلى الدول التي أدمنت النهب والإستغلال، لإنتاج مزيد من الفقر والقهر والفوضى وخراب العمران،

إن وعي الشعوب المقهورة المستغلة لما يدبر لها ووحدة موقفها اللذان يأخذان في كل مرحلة تاريخية أشكالا وأنماطا جديدة في المواجهة، كانت أكبر وأقوى من قدرات القوى العالمية في الإخضاع غير المباشر – الحرب النفسية – الحصار - وخلق العصبيات – الفتن المتنقلة –والتهديدات المباشرة وغير المباشرة، لذا عمدت إلى القوة المباشرة وإلى إصدار قانون إستباحي عالمي لا يحتاج إلى حجة أو دليل لإرهاب العالم بغزو الدول والمدن والمناطق الآمنة وتخريبها وتهجير وإبادة سكانها تلك الممارسات التي شاهدها العالم من شرق آسيا إلى أفغانسان والعراق إلى أفريقيا ولبنان وفلسطين والسودان إلى أمريكا الجنوبية

يا جماهير شعبنا

لم يتبق من ثورة ٢٣ المجيدة سوى المبادئ الثورية وإنجازاتها، ولم يتبق لهذه الشعوب المنكوبة سوى خيار المقاومة بأشكالها وتنوع مضامينها روح الثورة ومبادئها، وهي ترى أمامها مباشرة مصائر دولها وجهدها ومدخراتها ومصائر مستقبل أبنائها،

إن حركة القوميين العرب التاريخية إذ تستذكر أيام ثورة ٢٣ المجيدة في مصر العربية وأيام الكفاح والنضال الإقليمي والعالمي: من أجل تحرير فلسطين والأرض العربية من الإستعمار والنظم الرجعية المتآمرة لإقامة دولة الوحدة العربية وبناء المجتمع الأفضل: فإنها تحي الشهداء من أبطالها ورموزها، وتدعوا في هذه المناسبة سائر المثقفين في الوطن العربي والعالم وسائر الطبقات المنتجة إلى وعي دورهم التا ريخي والعمل من أجل ترسيخ المبادئ الثورية وثقافة المقاومة، والتحرك من أجل تحرير الإنسان والأرض في فلسطين والعراق وسائرالأرض العربية، والعمل على مساندة ودعم الشعوب الناهضة والتوحد معها ضد أشكال الهيمنة العالمية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وتوابعها من الدول الأوربية ودولة الكيان الصهيوني والعملاء المحليين خدمة للرأسمال العالمي،

عاشت الوحدة العربية، عاش الشعب العربي،
عاشت حركات التحرر العالمية في آسيا وأمريكا الجنوبية وأفريقيا، عاشت المقاومة التحريرية المسلحة في فلسطين والعراق، عاش الشباب القومي العربي رافع راية العدالة والكفاح من أجل الوحدة والتحرر والديمقراطية.

حركة القوميين العرب

عن ثورة يوليو وبعض مسائل النخبة المصرية

بقلم : صلاح سالم ×

عاشت مصر نحو مئة وخمسين عاماً تمتد بين 1805 و 1952 ما يمكن تسميته بحالة القابلية للتغير الجذرى في بنياتها الهيكلية المتعاقبة حرمتها من مراكمة الخبرات التحديثية، والتقاليد الليبرالية، وهى حالة ناجمة عن ضعف قدرة الثقافة السياسية على تشكيل كتلة تاريخية حديثة ذات قاعدة مجتمعية، وحضور سياسي، ورؤية ثقافية، وأنماط تنظيمية، وطرائق في الحياة تميزها وتكفل لها نوعاً من الاستمرارية تدفعها للقتال من أجل الحفاظ عليها مثلما فعل النبلاء في التاريخ الأوروبي الوسيط عبر تركيبة الإقطاع بإلهاماته العرقية والدينية، أو الطبقة البورجوازية عبر التركيبة الرأسمالية ورموزها كالدولة القومية، واقتصاد السوق، ثم الديموقراطية، أو حتى الطبقة الإصلاحية اليابانية في العصر الميجي نهاية القرن التاسع عشر، ولذا فقد آلت كل تجارب الحكم، ومشاريع النهوض إلى الفشل إذ استندت في النهاية إلى نموذج تقليدي في العلم «الصوري المنطقي» ونمط تقليدي في الانتاج «الزراعي» ومن ثم بناء اجتماعي تقليدي شبه اقطاعي وذلك بغض النظر عن تباين أشكال النظام السياسي المتحكم فوقياً عبر التجارب النوعية لهذه الحقبة وأهمها:

- تجربة محمد علي باشا صاحب أول مشاريع النهوض في العصر الحديث والذى أخذ إلهامه الحقيقي من السلطنة العثمانية على رغم محاولة تحديها، إذ قام بتوظيف المنتج التكنولوجي الغربي على أرضية اجتماعية وسياسية رعوية ذات إلهام عثماني وبإرادة فردية عازها الإطار التنويري ولذلك كانت تحديثاً هشاً تمحور حول قطاع رئيسي واحد هو الجيش الذى مثّل الحامل التاريخي الحقيقي لهذه التجربة، ولذا فقد تراجعت ثم أخفقت أمام الضغوط الأوروبية على الجيش المصري، من دون أن تنجز استنارة مجتمعية أو حتى تحديثاً واسعاً.

- ونظام ثورة 1919 أو دستور 1923 الوفدي ذي الإلهام الليبرالي في الربع الثاني من القرن العشرين والذي شهدت مصر في ظله حركة تنويرية جديرة بالاهتمام حاولت عبر رموزها الكبرى التي راوحت بين إسماعيل مظهر وشبلي شميل وسلامة موسى، وبين العقاد ومحمد حسين هيكل مروراً بطه حسين وأحمد لطفي السيد، أن تطرح أسئلتها على الواقع في شكل جدي، ولكنها واجهت مشكلتين أساسيتين: أولاهما استمرار افتقارها الى المكون العلمي التكنولوجي الحديث كقاعدة صارت هي الأهم في البنية التاريخية للمجتمع الحديث. وثانيتهما حالة الضعف السياسي للبلاد بعد وقوعها فريسة للاحتلال البريطاني، ولذا كان الأفق السياسي لأسئلة التنوير هذه محدوداً أو مسدوداً، ولذا اتخذت هذه الحركة طابعاً فوقياً على نحو لم يمكّنها من المساس بالجسد الاجتماعي المصري الذي ظل رعوياً عند القاعدة. فمن سوء حظ مصر أن اللحظة التاريخية المصرية التى شهدت سلطة سياسية قادرة على الفعل، زمن محمد علي، عازها الإطار التنويري القادر على إلهامها وترشيدها المستمر، وعندما بدأ هذا الإطار في التشكل كانت الإرادة الوطنية ترهلت، ولو أن حركة التنوير المصرية تأخرت نحو القرنين، ولو أنها سبقت تجربة محمد علي لكان لها، ولمصر في التاريخ، شأن آخر. ومع ثورة يوليو هبت روح حديثة تجسدت في تجربة التحديث السلطوي للمشروع الناصري، تمكنت من وأد كثير من سمات الثقافة الرعوية في الشخصية المصرية من خلال ركائز، أولاها الجيش الوطني الذي أعاد الى المجتمع المصري وظيفته العسكرية بعدما عادت إليه مع الاستقلال الوطني وظيفته السياسية، وثانيتها التعليم النظامي، وثالثتها حركة التصنيع الشاملة، على أرضية طبقة وسطى واسعة تكاد تحوي معظم شرائح المجتمع على رغم محدودية معارفها ومهاراتها نسبياً، وتكوينها البيروقراطي غالباً، ورابعتها رؤية ثقافية حديثة سعت إلى استلهام مقومات الخصوصية الوطنية والقومية، وإلى تأكيدها في إطار نزوع إنساني وعالمي كانت له جاذبيته وفعاليته على رغم جموحه، وفي سياق روح كفاحية تؤمن بالقدرة على التأثير في حركة سير التاريخ. وخامستها تبني أيديولوجيا راديكالية نوعاً ما تعلي قيم التحرر والكبرياء على ما عداها، حتى لو كانت «الواقعية السياسية»، وهو أمر يمكن فهمه باعتباره محاولة لإشباع النرجسية الوطنية، ولإحداث القطيعة مع القيم الرعوية كالاستسلام والخضوع والقدرية وربما الشعور بالدونية الذي كان قد تكرس في الشخصية المصرية لقرون طويلة إزاء الآخر، خصوصاً الأوروبي... الخ.

وبفضل هذا الحامل الاجتماعي التاريخي للمشروع الناصري تم تجاوز حالة «القابلية الجذرية للانقطاع»، ولكن ظلت مصر عاجزة عن الاختراق الديموقراطي، لأن هذا المشروع لم يحاول بلورة او فرز الاختلافات المجتمعية «الصغيرة» القائمة داخل كتلته الحديثة على أسس أيديولوجية وطبقية ومهنية لمصلحة التنافسية السياسية، بل على العكس، حاول قمعها لمصلحة رؤية شمولية حققت كثيراً من أهدافها التحديثية، إلا أنها عمقت من درجة الإدماجية السياسية التي ساعد على

ترسيخها تدني قدرة المجتمع المصري القاعدي الموروثة آنذاك على صعيد حيازة السقوف المعرفية، ونضوج الذات الفردية، وهي حاجات رئيسة لطرح المطلب الديموقراطي، وكذلك ضعف جاذبية الفكرة الديموقراطية نفسها آنذاك كأيديولوجيا استعمارية تأخذ الموقف السكوني المحافظ في بنية الصراع الدولي وتترك لنقيضتها «الاشتراكية» الموقف النقيض «التقدمي» والديناميكي، وأيضاً لصخب تفاعل النظام الناصري مع الخارج وتحرش الخارج به على نحو لم يمنحه فرصة التطور الطبيعي الهادئ حتى كانت هزيمة حزيران (يونيو) 1967 التي أطاحت بهذا المشروع موضوعياً.

وفي الربع الأخير من القرن العشرين تحولت هذه «الإدماجية» إلى «تلفيقية» كاملة فشهدت هذه الفترة تغيراً في كثير من الملابسات على المستوى الوطني والعالمي كان من نتيجتها إرهاص الوعي بأهمية الديموقراطية وهو ما دشن تجربة التعددية المقيدة منذ العام 1976، التي لم يضف الزمن اللاحق جديداً إليها فظلت مصر على «عتبة» الديموقراطية ولم تتجاوزها على رغم تغيرات حدثت في الموسيقى الصوتية، وفي الديكورات المصاحبة وبالطبع في بعض الأبطال حتى بدا المشهد مملاً جامداً وبخاصة في التسعينات التي بدا فيها واضحاً أن مصر تكيفت سلباً مع الموجة الديموقراطية الثالثة التي شهدها العالم على رغم القبول بمنطقها التحرري على مستويي التنظيم الاقتصادي والعلاقات الدولية، فكان ذلك إيذاناً بتدشين حالة من التلفيق مدفوعة برغبة عارمة في التوفيق بين نقائض، كانت بدأت تلف الثقافة المصرية منذ نهاية السبعينات حيث عادت المرجعية السلفية الى الظهور «فكرياً» بعدما حاول النظام الساداتي توظيفها عملياً، وكان ذلك التطور في الجوهر هو النهاية الحقيقية للمشروع التحديثي الناصري المستنير على رغم تسلطيته، وفاتحة زمن التلفيق والمواقف الاختزالية للنخبة المصرية وأنانيتها السياسية التي دفعتها الى اختزال الحرية في الاقتصاد، واختزال الرأسمالية في الخصخصة، والإصلاح الاقتصادي في بيع القطاع العام، والاستثمار في بناء منتجعات الساحل الشمالي بكتلة الخرسانية المتراصة كعجوز شمطاء تشكو الليل والبرد معظم شهور العام، وفي المقابل قامت بتجميد ديناميكية السياسة إبقاءً على مواقعها ثم حاولت البحث عن أساس ثقافي هو «سلبية المصريين»، وتحد سياسي هو التيار الإسلامي المتطرف تبريراً لواقع سياسي مأزوم شاركت في صناعته، وتحاول ترسيخه بدلاً من البحث عن مسارات عملية للخروج منه.

× كاتب مصري

ثورة يوليو شكلت ضمير الأمة

بقلم : محمد أيوب

ربما كانت ثورة يوليو تموز هي الضوء الساطع الذي أضاء سماء الأمة العربية بعد نكبة عام 1948 ، وهي الثورة التي تعرضت لتآمر المتآمرين منذ انطلاقتها المجيدة ، فحاول البعض اغتيال جمال عبد الناصر ، وحاول آخرون سرقة الثورة من مفجريها الحقيقيين ، وقد حاصر الغرب هذه الثورة ففرضوا حظرا للسلاح على مصر مما دفع هذه الثورة إلى كسر احتكار السلاح وعقد أول صفقة أسلحة تشيكية سنة 1955 م ، ولما تراجع البنك الدولي عن تقديم قرض لمصر لمساعدتها في بناء السد العالي الذي حمى مصر من العطش فيما بعد ، قامت الثورة وعلى رأسها جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس مما استفز دول العدوان الثلاثي ، فانعقد مؤتمر الدول الثماني عشرة في لندن ليجئ منزيس رئيس وزراء أستراليا إلى مصر وهو يحمل تهديدا إلى إلى القيادة المصرية ولكن عبد الناصر طرده شر طردة ، ووقفت مصر وقفة رجل واحد وراء عبد الناصر وقيادته وانتصرت مصر واندحر المعتدون مما عزز دور مصر القومي وكرسها رائدة لحركة التحرر العربي والعالمي وحركة عدم الانحياز ، وتم توقيع اتفاقية الوحدة بين مصر وسوريا مما جعل الرجعية العربية والدول الاستعمارية تتآمر على هذه الوحدة بمجرد الإعلان عنها ، وبعد قيام ثورة 14 تموز أعلن عبد الناصر أن أي عدوان على العراق هو عدوان على الجمهورية العربية المتحدة تلتزم برده بالقوة مما جعل دول حلف بغداد " السنتو " تتراجع عن التدخل في العراق .

ولكن المنعطف الخطير في الثورة المصرية كان في تحولها إلى القضايا الاجتماعية ومحاولة نشر العدل بين مواطنيها فأصدرت قوانين يوليو الاشتراكية وقوانين الإصلاح الزراعي مما جعل أفاعي الرجعية إلى الخروج من جحورها في كل من سوريا ومصر والوطن العربي وتم ضرب وإجهاض أول تجربة وحدوية سنة 1961 ، فقام مأمون الكزبري وغيره من الانفصاليين بسلخ سوريا عن جسدها الطبيعي ، ولكن عبد الناصر لم يفقد إيمانه بالوحدة العربية واستمر في تطبيق المبادئ الستة التي تبنتها الثورة ، وحاول عبد الناصر إقامة حياة ديمقراطية سليمة فأنشأ الاتحاد القومي بعد حل الأحزاب واتبعت مصر نظام الحزب الواحد ، ومن بعده تم الإعلان عن قيام الاتحاد الاشتراكي العربي وأخذ عبد الناصر يطور نفسه فكريا فأعلن الميثاق القومي والذي أكد فيه على انه لا توجد سوى اشتراكية واحدة هي الاشتراكية العلمية وبدأ يفكر في التفرغ للعمل السياس وترك منصبه كرئيس للجمهورية ليشكل الاتحاد الاشتراكي عنصر ضبط ورقابة للسلطة التنفيذية ، ومع استمرار تطور فكر عبد الناصر والثورة المصرية لم يجد الغرب بدا من توجيه ضربة إلى الحركة الناصرية ممثلة في مصر فكانت حرب يونيو التي تم فيها ضرب ثلاثة جيوش عربية لا مجال للتحدث عن أسبابها وكيفية حدوث ما حدث ، ولكن هل يكبو الفرس الأصيل وهل يتراجع الفارس ؟ لم يتراجع الفارس ، وإن كان قد قدم استقالته وأعلن أنه يتحمل المسئولية الكاملة عن الهزيمة ، ولكن الجماهير بفطرتها رفضت الاستقالة ومنحته الثقة لمواصلة المسيرة فأعلن ان ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة وتم الإعلان عن لاءات مؤتمر الخرطوم التي خرج عنها نظام السادات لا حقا ، واستمر عبد الناصر على طريق المراجعة الفكرية الشاملة لفكر الثورة فأعلن منهجه الفكري في بيان مارس الشهير سنة 1968م ، هنا اتضحت الأمور أمام الغرب وتبين لهم ان الثورة لن تتراجع فقرروا التخلص من جسد عبد الناصر ودسوا له سم الأكونتين في مرهم التدليك الذي كان طبيبه يستخدمه ليبدو وكانه مات بالسكتة القلبية ، وقد اختاروا توقيتا مناسبا لهم للإعلان عن وفاة عبد الناصر بعد مجازر أيلول للإيحاء انه مات من الإجهاد أو بسبب تأنيب الضمير بعد أن حاولوا إشاعة أن عبد الناصر أعطى الضوء الأخضر للملك حسين لضرب الفسطينيين ، ولكن هل استطاعوا اغتيال فكر عبد الناصر كما اغتالوا جسده ، لم ولن يستطيعوا ذلك ، ومن لا يصدقني أطلب منه أن يسأل فقراء مصر الان الذين يترحمون على أيام عبد الناصر والذين هتفوا : " عبد الناصر يا أبونا ، في غيابك جوعونا " ، إن أعداء فكر عبد الناصر كانوا يخافون منه حيا وهم يخافون منه ميتا ، يخافون من الفكر الناصري القومي الاجتماعي وما زالوا يشنون عليه حملات التشويه ، خسئوا وخاب فألهم إن شاء الله ، واخيرا أقول : ما احوجنا إلى روح عبد الناصر وفكره وما أحوجنا إلى وجوده بيننا .

د . محمد أيوب

علاقة عبد الناصر بالفن والفنانين

الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الفنان فريد الأطرش

سينما الثورة.. جماليات أفلام الوعي بالتاريخ والوطنية

فتحي خطاب - العرب اليوم

قبل أيام من ذكرى ثورة الرجل الكبير عبد الناصر 23 يوليو 1952 نظمت لجنة السينما بالمجلس الأعلى للثقافة على مدى أربعة أيام حلقة بحث بعنوان سينما الثورة طرحت خلالها 12 ورقة بحثية تناولت الأفلام المصرية خلال الفترة من 1952-1971 من بينها ورقة بحثية للمفكر الدكتور حسن حنفي بعنوان السينما الفلسفية.. توفيق صالح نموذجا .. وقدم الدكتور أحمد عبد الحليم ورقة أخرى بعنوان جماليات السينما المصرية في أفلام صلاح أبو سيف.. وورقة بحثية بعنوان العلاقة بين الأدب والفن السابع في السينما المصرية منذ رواية زينب والدكتور محمد حسين هيكل إلى آخر الحقبة للناقد إبراهيم العريس.. و السرد في السينما المصرية للناقد محسن ويفي.. وورقة بحثية بعنوان القطاع العام السينمائي في مصر 1963 / 1972 للناقد علي أبو شادي..

الأوراق البحثية اتفقت في مجملها على أن السينما التاريخية قبل الثورة اهتمت بقصص مثل شمشون وغيرها، أما بعد الثورة فاتجهت إلى أفلام الجهاد والكفاح مثل وإسلاماه و الناصر صلاح الدين. و فتاة من فلسطين وغيرها من أفلام الثورة التي تميزت بجماليات الوعي بالتاريخ، وإحياء مشاعر الوعي بالوطنية والانتماء للقومية العربية ويقظة الوعي بالتاريخ الإسلامي من خلال الأفلام التي تناولت الرسالة الإسلامية ومنها بلال مؤذن الرسول و الشيماء أخت الرسول وغيرها مثل رابعة العدوية الذي تناول سيرة إحدى النساء الصالحات.. وسينما الثورة.. تعيد للذاكرة رؤية الزعيم الراحل جمال عبد الناصر لدور الفن بصفة عامة، ودور صناعة السينما بصفة خاصة، ومنذ بداية السنوات الأولى للثورة، وبهذه الرؤية طلب من الفنان فريد شوقي أن يجسد بطولة فيلم عن بور سعيد وأحداث العدوان الثلاثي على مصر، وبهذه الرؤية أيضا تدخل أكثر من مرة عندما تصله معلومات عن منع عرض أو منع إنتاج فيلم بعينه، ومنها فيلم شيء من الخوف حين قيل أن سلطة وسطوة عتريس في القصة ترمز إلى عبد الناصر، وقد ضحك كثيرا من هذا التشبيه وأمر بعرض الفيلم، وهو ما حدث مع فيلم ميرامار الذي يتهكم على التنظيم السياسي الأوحد الموجود الاتحاد الاشتراكي وغيرها من الأفلام التي يراها تحمل وجهة نظر ورؤية يتم عرضها للمشاهد الذي له حرية الاختيار داخل ساحة من حرية التعبير..

ويقول الكاتب والناقد سليمان الحكيم كانت علاقة عبد الناصر بالفنانين علاقة متابعة ورعاية ونقد في نفس الوقت، والعلاقة الوطيدة التي ربطته بسيدة الغناء العربي أم كلثوم معروفة للجميع، ومع الفنان الراحل عبد الحليم حافظ الذي أصبح مؤسسة فنية وسياسية في نفس الوقت باقترابه من مجلس الثورة ومن الزعيم ناصر، وكانت احتفالات

في الذكرى الثامنة والخمسون للثورة

الثورة واحتفالات عيد العلم مناسبات يتابع عبد الناصر من خلالها عطاء الفنانين للوطن، حتى الخلافات بين الفنانين كان يتدخل لحلها.. ويقول الملحن الموجي الصغير إن أم كلثوم اتصلت بوالدي وطلبت منه الست تلحين نشيد الجلاء الذي ستشدو به في عيد الجلاء، وبالفعل تم اللحن، وشدت به ثومة في حفل حضره الرئيس جمال عبد الناصر وكل قيادات ثورة يوليو، وأصرت الست على تقديم الموجي إلى جمهور الحاضرين، وهو أمر ظل أبي يتذكره بفخر واعتزاز.. ويكمل الموجي الصغير: وبعد نجاح نشيد الجلاء، قررت ثومة أن يلحن لها الرضا والنور وهو اللحن الذي استغرق منه وقتا طويلا، مما أثار غضب أم كلثوم، ووصل بها الأمر أن اشتكته إلى الرئيس جمال عبد الناصر الذي داعبها بقوله: أحبسهولك حتى ينتهي من التلحين !! وخرج اللحن، وحظي بإعجاب شديد، وكان أحد عناصر نجاح فيلم رابعة العدوية وبعده استمر المشوار بين الموجي وثومة وغنت له محلاك يا مصري و أنت الدفة و بالسلام إحنا بدينا و بالسلام على الأمة و صوت بلدنا .. وكانت تلك الألحان وستظل من أقوى الأغاني الوطنية في تاريخ الأغنية المصرية.. وقال الموجي الصغير: أذكر أن أبي بكى بكاء شديدا يوم وفاة الزعيم عبد الناصر، فقد كان يشعر أنه قريب منه، لأن الريس كان يهتم بالفنانين، وكانوا هم جيل الموجي الذين يعتبرون أنفسهم جيل الثورة ويشعرون تجاه الزعيم بشعور الابن تجاه أب روحي لأحلامهم ومشاريعهم.

ويروي الأستاذ هيكل أنه رغم الأحداث الساخنة المتلاحقة، وكأن عبد الناصر يلاحق الزمن للإعداد لمعركة التحرير سياسيا وعسكريا، وخلال زيارة سرية وهامة للاتحاد السوفييتي مع بداية عام 1970 وكان هيكل وزيرا للإرشاد القومي، فاتحه عبد الناصر في موضوع بدا للأستاذ هيكل غريبا.. قال له ناصر لقد سمعت صوت مطربة جديدة عفاف راضي ويذكرني بصوت فيروز، وطلب من هيكل الاهتمام بالصوت الجديد ليكون صوت فيروز مصر.. ويقول المخرج سعد هنداوي: بالنسبة لي الثورة تتمثل في الأغنية الوطنية للنجوم الكبار مثل عبد الحليم وشادية، وأكون في غاية الفخر والسعادة عندما استمع لهذه الأغاني بسبب أهمية هذه الثورة العظيمة..

وقال الفنان الكبير محمود ياسين: كلي سعادة وفخر لأني من الجيل الذي تربى على هذه الثورة لحدوث تطور مهم جدا في الحياة من خلال الحكم الجديد الذي أنجبته الثورة، وكان وقتها كل ما يطفو على السطح من إعلام ومن طوائف أخرى مثل المدرسين والموظفين وكل التجمعات الشعبية، الجميع كان يتحصن بالثورة، وأيضا الثورة كانت تتحصن بهم

جميعا لأنهم آمنوا بها، وعشنا جميعا عبق وروح الثورة من خلال جميع الأمور الحياتية من الشارع والإذاعة وكل وسائل الإعلام وقتها، ولما استقرت الأمور للزعيم الكبير عبد الناصر بدأنا نعرف قيمة وطنيته، وبدأنا نشعر بالثورة في كل أمور حياتنا لأننا أولاد الثورة أنا وجيلي وتربينا في ظل الثورة وتأثيرها مازال حتى الآن، لأن الثورة لم تكن مجرد حدث ولكنها نقلة عظيمة لطريق الحرية، وعند قرار التأميم شعرنا بتغيير جبار لأن التأميم هو في الأصل تأثر بالثورة لأنها قضت على كل فساد في النظام السابق..

ويقول المخرج علي عبد الخالق: أنا فخور بأني إبن من أبناء الثورة، وكان بداخلنا إحساس دائم بالتغيير التام للأفضل مع شعار أرفع رأسك يا أخي لأن الثورة جعلتنا نشعر بقيمتنا كمصريين مرة أخرى، واننا لسنا من مستوى أقل من بقية دول العالم، وغرست فينا الوحدة والعروبة، وأيضا شعرنا أننا لسنا تابعين ولكن أصبح لنا وطن له شخصيته، وكنا نتباهى وقتها بهذا الوطن القوي الجديد الذي أصبح ندا لأي دولة أخرى.. وقال الفنان سامح الصريطي: أدين لثورة يوليو بكل الحب والاعتزاز لكل إنجازاتها من تعليم وثقافة، لأنها صنعت انفتاحا أدى إلى إنجازات ضخمة في جميع المجالات، وتشييد قصور الثقافة والمسارح في جميع الأقاليم، إلى جانب المستجدات من حركة البناء والتنوير، والاهتمام ببناء الوحدات الصحية والمساكن الشعبية، جنباً إلى جنب مع جميع فنادق مصر، كل هذا تم البناء والبدء فيه مع حركة الثورة.

وقالت الفنانة تيسير فهمي: أنا شخصيا أعتبر حدوث هذه الثورة شيئا مهما في حياتي، ولكن في بعض الوقت أحزن من هؤلاء الأفراد الذين طالما حاولوا إطفاء هذه الثورة، رغم أنها صاحبة الفضل في أننا أصبحنا أحرارا بعد فترات عصيبة من القمع والقهر والذل، فقد أعطتنا معنى الحرية الحقيقي، الذي تأثرنا به ونعيشه حتى الآن،ولن يستطيع أحد مهما كان إنكار ما فعلته بنا هذه الثورة من تغيير للأفضل.. ويقول الكاتب والناقد رؤوف توفيق: نحن جيل مدين للثورة بكل الفضل والعرفان، لأننا عشنا فيها أزهى العصور، حيث الانتماء والحماس،وفيها ظهر النضال العربي،فلم يكن الموضوع مجرد ثورة سياسية بل ثورة في كل الأمور الحياتية، فكانت ثورة ثقافية وظهر وقتها ثروت عكاشة بكتابته وحدث تطور في كل ميادين الفن من سينما وباليه وكونسرفتوار.. ولو ألقيت خطب جمال عبد الناصر الآن على الشعب فسوف تزيده حماسا وشجاعة، رغم أنها قديمة، ولكن الشعب يحتاج لهذا في هذه الفترة.

وقال المخرج الكبير سعيد مرزوق: نعتبر أننا بدأنا حياتنا مع الثورة وكانت هي التكوين الوجداني لكل فناني مصر في هذه الفترة، وعملت أنا شخصيا بنفس قدر جرأة عبد الناصر نفسه، وحين مات عبد الناصر وبإحساس اللحظة والسنين جمعت فيلما يحكي قصته معنا من البداية وحتى ووري الى مثواه الأخير وكان فيلم دموع السلام سنة 1971 من أحسن الأفلام لعبد الناصر لأنه كان فيه تلخيص لكل المشوار الفني ولكل إحساسي بثورة 23 يوليو وحتى اليوم حين أشاهده لا أملك دموع عيني من التدفق وحصلت به على أحسن عمل من بين 24 فيلما.

اغاني ثورة يوليو «في محاضرة لـ إلياس سحاب»

كمال الطويل
بيروت - 'القدس العربي' - من زهرة مرعي

أطلق بيتهوفن على سيمفونيته الثالثة اسم نابليون بونابارت، لأعجابه بالثورة الفرنسية وعندما غزا بونابارت أوروبا خابت آمال بتهوفن فاستبدل الاسم بـ'بطولة'.

هذا ما جاء في محاضرة الناقد الياس سحاب التحليلية السماعية لشهر تموز (يوليو) في مكتبة السبيل في بيروت، التي كان عنوانها 'أغاني ثورة يوليو في ذكراها الـ٥٨'.

ربط سحاب ما بين القيمة الفنية وقيمة الكلام لأي غناء يُصنف وطنياً، مما يؤدي إلى توازن طبيعي بين العمل الشعري والموسيقى ولاحظ تراجعاً في المواهب التي قدمت الغناء الوطني في السنوات العشرين الماضية.

ولم يحصر سحاب محاضرته في الذكرى السياسية للثورة، بحيث تُقدم الأعمال الغنائية في مناسبتها فقط، بل الأهم من ذلك هو القيمة الفنية العالية للأعمال الغنائية التي تمّ الحديث عنها تحليلاً، والأخرى التي تمّ سماعها مع تحليل.

وربطاً بين أغنيات الثورة والمرحلة السياسية والاجتماعية وجد قوة وصلابة في الثانية، الأمر الذي انعكس على الأغنية بحد ذاتها.

ولو كانت غير ذلك لما تواصلت تلك الأغنيات حتى لحظتنا هذه بحسب سحاب.

وربط بين التطور والرقي في الأعمال الفنية الوطنية وبين التطور والرقي في الأعمال العاطفية.

كما أشار إلى تعبير الثورة عن ذاتها عبر الغناء، مثل الأغنيات الخاصة بالإصلاح الزراعي الذي وضع حداً للإقطاع الزراعي كما عبرت عن ذاتها في تأميم قناة السويس، وفي مواجهة العدوان الثلاثي، الذي لاقى مواجهة بطولية من الشعب المصري.

وكانت مشاركة لبنانية في هذا الصدد، فقد كتب الفنان محمد سلمان نشيداً لحنه الفنان فيلمون وهبة وأدته نجاح سلام وهو 'اليوم اليوم اليوم النصر إحنا عصرنا قلب الأعدا عصر' ونال نشيد 'من بيت لبيت ومن شبر لشبر وقفالهم مصر' الذي لحنه الراحل عفيف رضوان الجائزة الثانية بعد نشيد 'الله وأكبر' الذي نال الجائزة الأولى.

وبعد تأكيد وتشديد من سحاب على أهمية صوت الكورس في الأغنيات الوطنية مهما كان الصوت الفردي فذاً، كنا مع محطة سماع أولى مع الصوت الأهم على صعيد الأغنية الوطنية، وهو صوت المطربة فايدة كامل، التي قال سحاب بأنها نجحت في الغناء الوطني أكثر من نجاحها في الغناء العاطفي.

'دع سمائي فسمائي محرقة' لحن نظمه علي إسماعيل وهو من أكثر الأناشيد خلوداً وأهمية بين تلك التي شهدتها مرحلة العدوان الثلاثي على مصر. وكذلك ذكّر سحاب بنشيد آخر لفايدة كامل وجد شهرة كبيرة في تلك المرحلة وهو نشيد 'حضرب لآخر نقطة في دمي'

أما نشيد 'الله وأكبر' فله حكاية مع ملحنه محمود الشريف فهو وضعه بحسب رواية الشريف لسحاب مباشرة أثناء الغارات العدوانية على القاهرة.

كان يضع اللحن ليلاً ومنزله مضاء في الطبقة الأخيرة، فيما الجيران ينزلون إلى الطبقات السفلى.

وضع اللحن من دون كلام وكان يعزفه على البيانو من دون أن يشعر بالغارات إلى أن جاء الجيران وأنزلوه من منزله وأطفأوا الأنوار.

ولاحقاً طلب الشريف من الشاعر عبدالله شمس الدين وضع الكلام وكان المطلع 'الله ألله وأكبر' وهو النشيد الذي تبنته جمهورية ليبيا ليكون نشيدها الوطني وقد أداه الكورس بعد العجز في إيجاد المطرب كارم محمود لأدائه وقد سجلت موسيقاه فرقة أوركسترالية تشيكية كبيرة.

وتوقف سحاب في تحليله أمام نشيد 'والله زمان يا سلاحي' الذي كتبه صلاح جاهين ولحنه كمال الطويل وكذلك نشيد 'أنا النيل مقبرة الغزاة' الذي أدته نجاح سلام باقتدار وأمانة شديدين من كلمات محمود حسن إسماعيل وألحان رياض السنباطي.

وفي حكاية كمال الطويل وتدرجه مع اللحن أوضح سحاب بأنه انطلق كملحن مع عبد الحليم حافظ، وكان برفقته محمد الموجي، وقد وجدت أم كلثوم في أنغامهما ما يجذبها وهي عندما أرسلت طالبة مقابلة الطويل أصابته الصاعقة والاضطراب وهذا ما لاحظته أم كلثوم.

ولكسر الحاجز بينهما طلبت منه أم كلثوم التردد عليها على الدوام، وحين ينكسر الحاجز يضع لها لحناً.

وخلال ترديده عليها حدث العدوان الثلاثي، فعرض عليها كلمات صلاح جاهين 'والله زمان يا سلاحي'

وقد وضع الطويل اللحن أثناء الغارات على القاهرة، وحاول فيه الوصول لحل وسط بين الطابع المحافظ لأم كلثوم والحداثة التي يتميز بها نغمه.

ووصف سحاب صوت أم كلثوم في الغناء الوطني بأنه يكتسب نبرة مختلفة عنه في العاطفي وهذا ما ظهر جلياً في لحن عبد الوهاب 'أصبح عندي الآن بندقية. وكذلك في لحن رياض السنباطي 'ثوار ثوار لآخر المدى ثوار'

توقف سحاب في المرحلة التالية أمام أغنيات مرحلة الوحدة بين مصر وسورية واعتبرها غزيرة ومعبرة، وقد شاركت فيها صباح وعبد الحليم حافظ وفريد الأطرش وآخرون وكان السماع في هذا الجانب مع أغنية محمد قنديل، التي كتبها بيرم التونسي وعنوانها 'وحدة ما يغلبها غلاّب'.

المحطة الأخيرة في هذا اللقاء كانت توقفاً في المرحلة التي تلت هزيمة سنة ١٩٦٧ وكانت كذلك من المراحل الغزيرة وكانت فيها أغنيات كثيرة لكل من محمد الموجي وبليغ حمدي أداها عبد الحليم وهي أغنيات امتازت بالتحريض وكانت أناشيد قصيرة.

وفي هذه المرحلة ظهر عبد الرحمن الأبنودي شاعراً يدعو للأمل بعد صلاح جاهين، الذي أصيب بالاكتئاب إثر الهزيمة، مما أدى إلى موته لاحقاً.

ومن الأغنيات التي كتبها الأبنودي وأداها عبد الحليم 'موال النهار وابنك يقولك يا بطل' وكان توقف سماعي مع الثانية ومن ثم غنى عبد الحليم من كلمات أحمد شفيق كامل 'خليّ السلاح صاحي' وهذا أتى في مرحلة لاحقة.

الختام السماعي كان مع عميد أناشيد الثورة محمد عبد الوهاب، وهو كان قد وضع 'نشيد الحرية' في أواخر عهد الملكية لكنه بقي نائماً في الدرج.

هذا النشيد كتبه كامل الشناوي، وهو لحن جمع بين الروح الحديثة جداً وعظمة صوت عبد الوهاب وقد تمّ اعتماده كمقدمة موسيقية لنشرة أخبار راديو القاهرة منذ سنة ١٩٥٢ ولا يزال.

كما اختارت إذاعة دمشق مقدمة 'نشيد القسم' لنشرتها الإخبارية ولا تزال منذ الخمسينيات.

ووصف سحاب عطاء عبد الوهاب بأنه كان غزيراً جداً في ثورة ٢٣ تموز (يوليو) رغم عدم قناعته بها لأنه وفدي الهوى لكنه مع مرحلة الوحدة بدا أكثر قناعة بالثورة.

الكاتب اليمني فؤاد عبد القادر كتب يقول :

٢٣ يوليو كان مولد الثورة الناصرية في مصر التي غيرت مجرى التاريخ عربيا وأفريقيا وكانت الشوكة التي انغرست في قلب الاستعمار والإقطاع والرجعية، لقد أعادت الثورة لمصر وجهها العربي، ثلاث ثورات في آن واحد، الثورة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

مرثية لعبد الناصر وتنبؤات بنهاية الصهيونية

القاهرة – أصدرت دار حاربي للنشر والتوزيع الديوان الأشهر للشاعر اليهودي الألماني أريش فريد "اسمعي يا اسرائيل" الذي ترجمه عن الألمانية مباشرة المترجم محمد أبو رحمة، الذي قدم الديوان بمقدمة قصيرة تحت عنوان احدى قصائده هي قبل الطوفان، ويشير أبو رحمة الى أن اختياره وقع على هذه القصيدة لتحمل :ا

ضربات اسرائيل الانتقامية مثالها الأول في العهد القديم

أما المثال الذي يقصده اريش فريد فكان كلام لامك . أحد أجداد اليهود . الى زوجتيه، حيث يقول لهما لأنه قتل رجلا ثأراً لجرح أصابه.. ثم يستطرد: انه ينتقم لقايين سبعة أضعاف، وأما لامك فسبعة وسبعين. ويضيف المترجم أن قايين هذا هو قابيل قاتل اخيه هابيل، وهو الذي ذكر في نفس الاصحاح من سفر التكوين حيث يقول له اله اليهود: فقال له الرب كل من قتل قايين قابيل فسبعة أضعاف ينتقم منه ..

وقد ولد الشاعر اريش فريد في فيينا عام 1921 وتوفي في ألمانيا عام 1988 وقد اضطر فريد في عام 1938 الي الفرار من وجه الاحتلال النازي، واستقر به المقام في بريطانيا، حيث التحق في لندن بهيئة الاذاعة البريطانية، ثم تفرغ للكتابة والترجمة منذ عام 1968، وقد حصل اريش فريد على عدة جوائز دولية كما نشرت له عدة دواوين منها التحرر من الفرار، قصائد وقصائد مضادة، امبراطورية الأحجار، جندي وفتاة .

ونقدم هنا بعض قصائد الديوان:

"زمن المغرضين
يسمونني خائنا
لشعبي
يسمونني
يهوديا معاديا للسامية
لأنني أتكلم عما
يفعلوه باسم اسرائيل
ضد الفلسطينيين
وضد عرب بلاد أخرى
وأيضاً ضد يهود
أسكتوا للأبد
وذات مرة فيما بعد
سيشرع اليهود الباقون
في البحث عن أثر ليهود لم يشاركوا
وانما حذروا
هكذا يشير الألمان
بعد اندحار هتلر
على ألمان كانوا في الماضي القريب
مطاردين.. أو قتلوا
لأنهم يعوزون الآن شهودا
بأن هناك ألمانا كانوا مختلفين
فهل تبقى كلمة من تحذيراتي حية؟
ولكن.. الأهم
هل سيوجد في فلسطين يهود أحياء
أفلتوا من دمار
ساهموا هم في خلقه
بظلمهم
في زمني؟
بين السادات والصهاينة
السلام الذي ليس سلاما
صانعه ليس صانع سلام

بين ورثة ناصر
ليسوا ورثة ناصر
وبين ديمقراطيين ليسوا ديمقراطيين
لصالح المصريين ولصالح اليهود
وهو ليس لصالح المصريين
وليس لصالح اليهود
يصنع صلحا ليس صلحا
يبشر بمستقبل ليس مستقبل
موقظا آمالا ليست آمالا
في فلسطين ليست فلسطين
الباطل ما زال باطلا
وعنصرية الصهاينة ما زالت عنصرية
والمطرودون ما زالوا مطرودين
وقراهم المدمرة ما زالت مدمرة
وحقهم ما زال حقا
وأملهم ما زال أملاً ناصر
كيف مات ناصر؟
بسكتة قلبية
فمن أو ماذا أسكت قلبه؟
أعداؤه أم المزعومون أصدقاؤه
من أجبروه ألا يكشف لعبة أعدائه
كانوا أمراء ومشايخ
لم يساعدوا الفلسطينيين
أم مصيره المحتوم؟
كان الملك القصير؟
أم كان هؤلاء الذين يحكمون عمّان عن بعد؟
ملوك الملك وخطة سلامهم الدامية
وذبحهم لمن ناضلوا من أجل ما ناضل ناصر من اجله
كيف مات ناصر؟
بأداء واجب ضيافة
ضد السفاحين والانتهازيين
كيف مات ناصر؟
بمصافحة أياد
غسلت بعناية من دم طازج؟؟
سوق
هناك يصطفون
أمام موائد
يباع عليها احساسهم بالذنب
وهم يدفعون .. بالدم
دمهم ودمك أيضاً
أدرت ظهري،
فلمحت . من طرف عيني
في أول الصف .
نفسي
هناك.. واقفاً
بيدي
سكين وابريق"

ثورة يوليو ... ثورة العرب

د. علي محمد فخرو

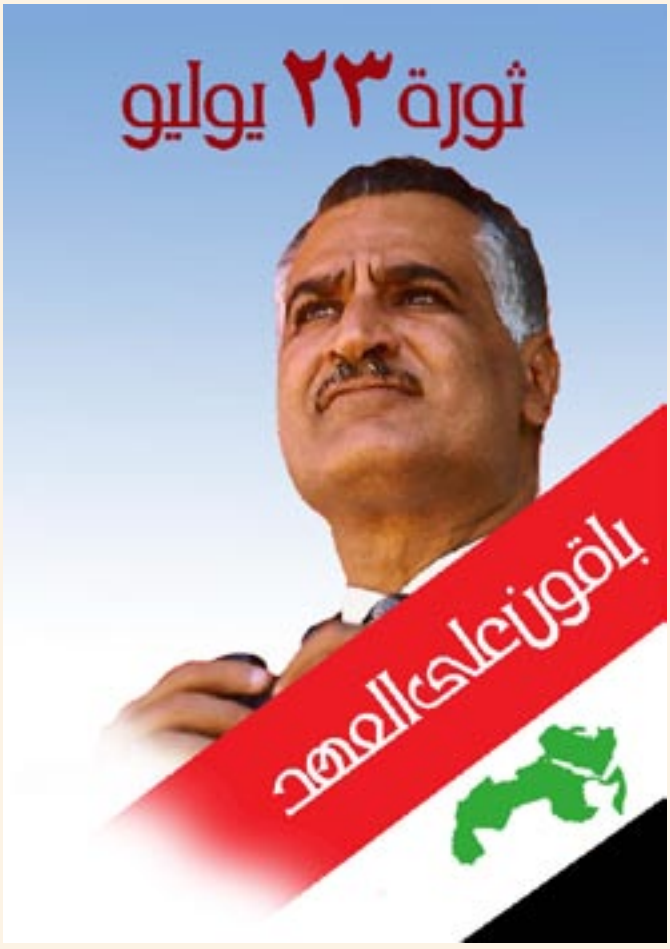

لا تعتبر أية ثورة ثورة حقيقية إلاّ إذا كانت لها تأثيرات عميقة على الفرد والمجتمع والتوازن الإقليمي والساحة الدولية. ولقد كان لثورة يوليو في مصر كل تلك التأثيرات، ليس بالنسبة لمصر فحسب بل بالنسبة لكل مكونات الوطن العربي أيضاً. من هنا فإن تلك الثورة كانت ثورة العرب. وفي اعتقادي أن كل القوى السياسية في كل أرض العرب يجب أن تحتفل سنوياً بهذه الثورة وتكون هذه مناسبة للتعليم وللعبر التي يمكن إيجازها في ٥ نقاط:

١- أن التغييرات الاجتماعية والاقتصادية التي لا يرافقها نظام سياسي ديمقراطي حقيقي، يعتمد على مشاركة فاعلة ومؤثرة من قبل الناس وعلى الأخص المهمّشين منهم، ستكون منجزاتها قابلة للانتكاس والسرقة. لقد تحدثت مبادئ الثورة عن إقامة نظام ديمقراطي لكن التطبيق فشل في إقامة نظام قانوني مؤسّسي ذاتي ديمقراطي. وكانت أكبر نقطة ضعف في ثورة يوليو هي نقطة الديمقراطية التي لم تتبلور. وهذا درس يجب أن نعيه في عملنا السياسي الحالي والمستقبلي.

٢- لقد أبعدت الثورة نفسها، فكراً وممارسة، عن ثقافة الأمة المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالإسلام. فكانت النتيجة وجود فجوة ذهنية وعاطفية بين الثورة وقادتها من جهة وبين الزخم الروحي والثقافي والوجداني للأمة من جهة أخرى. والدرس الذي يجب أن تعيه الحركة السياسية العربية القومية أو المحلية أنه ما من عمل سياسي نأى بنفسه عن روح الأمة إلا ووجد نفسه في النهاية في غربة فكرية ووجدانية.

٣- لقد تعاملت ثورة يوليو مع أول وحدة عربية كما كانت تتعامل مع أي قضية بيروقراطية تنظيمية، وكان الأجدر أن ينظر إلى تلك الوحدة بمنظار الرعاية التامة وأخذ الحيطة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ضدّ ما يخدش تلك الوحدة، وهو ما لم يحصل. فكانت نتيجة انهيار وحدة مصر مع سوريا نتيجة كارثية بكل المقاييس. وهذا درس لنا في أن نتعامل مع المشاريع الوحدوية بمنطق النفس الطويل والحذر الشديد، وفي نفس الوقت بمنطق القداسة.

٤- كانت ثورة يوليو محقّة في اعتمادها الكبير، بالنسبة لكل منجزاتها، لا على القدرات الشعبية في مصر فقط وإنما أيضاً على قدرات الشعب العربي في كل مكان. ولولا ذلك الزخم لفشلت الكثير من طموحات الثورة. إن المجال العربي في السياسة والأمن والاقتصاد هو المنقذ لكل قطر عربي في نضاله من أجل الاستقلال والتقدم والتنمية. من الضروري إفشال الفكر القطري والعمل القطري. إن ذلك لا يعني تدمير الدولة الوطنية ولكنه يعني أن لا تكون الدولة الوطنية هي وحدها مكونة لمحور الحياة العربية في كل ابعادها.

٥- إن ازدياد الفقر في ارض العرب ونموّ عدد المهمشين وسقوط الاقتصاد العربي في شرك العولمة المتوحّشة وصعود الفساد المالي والاقتصادي في كل مكان، يؤكد أن مبادئ العدالة الاجتماعية ومبادئ الديمقراطية الاقتصادية، تحت أيّ مسمّى كان، هي مفاتيح هامة في الحياة السياسية العربية. لا بد من التعبير عن الاعتزاز بما أنجزته ثورة يوليو وعدم الرجوع إلى ما حاربته من إقطاع واحتكار وظلم في توزيع الثروة، واستغلال بشع من قبل الرأسمالية الدولية. هناك محاولة خطيرة ومقلقة، باسم العولمة وباسم الواقعية وباسم الابتعاد عن الثورية، لإقناع العالم وإقناعنا بقبول الظلم الاقتصادي والاجتماعي والقبول بفتات المنجزات السياسية الديمقراطية المظهرية. هذه المحاولة يجب أن تقاوم لأنها تشويه وتلفيق لمنجزات البشرية عبر العصور.

لا زلنا بحاجة عظمى لمبادئ وإنجازات ثورة يوليو من أجل تكميل ما نقص فيها والتعلم من أخطائها من جهة ومن أجل حمل مشاعلها المضيئة من جهة أخرى. إننا لا نتكلم عن التقليد...إننا نتكلم عن حمل الأمانة.

بقلم : سوسن البرغوتي

إن ما يميّز ثورة 23 يوليو في مصر عن الحركات الثورية الأخرى والحركات الانقلابية التي عمّت بعض الدول العربية في ذلك الوقت، أنها قامت على أسس قومية أولاً تنتمي إلى محيطها العربي وأسس وطنية لمعالجة وضع مصر الداخلي، وكانت شرارة الإصرار على انطلاقتها كثورة قومية وطنية، الأحداث التي اجتاحت فلسطين في العام 1948 وتخاذل جيوش الأنظمة العربية، والأسلحة الفاسدة، وواقعة الفالوجا التي شهدها الضابط جمال عبد الناصر قريباً من الأحداث ومن أسباب الهزيمة، وبالتالي نكبة فلسطين.

تضافرت جهود الضباط الأحرار في الجيش المصري، وانطلقت الثورة تعلن قوميتها الجمعية، ولعل خروج الملك من مصر بمراسم رسمية وإطلاق تحيات التوديع، وعدم محاكمة بطانته الفاسدة، ودون إراقة دماء، إثبات على أنها ثورة بيضاء، تلك الرؤية والفكر القومي العروبي الذي تميز به الرئيس جمال عبد الناصر.

بطبيعة الحال كان من الأهمية بمكان ترتيب البيت المصري داخلياً كي تستطيع أن تقوم لاحقاً بالأعباء القومية، ومؤهّلة لقيادة نضال الشعوب العربية لمساعي تحرير فلسطين، ولمّ الشمل العربي، وإبداء صورة العرب الحقيقية أمام العالم.

ومن أهم إنجازات ثورة يوليو إقامة الوحدة بين سورية ومصر بإطار الجمهورية العربية المتحدة، ومن المؤسف أن تتخلى مصر بعد رحيل القائد جمال عبد الناصر عن تلك التسمية وتحمل الاسم القطري "جمهورية مصر العربية" تكريساً لشعار ضيّق الأفق وقطري يتمثّل بمقولة إن "مصر للمصريين".

إن التجربة الثورية للحكم في مصر انطلقت من معايير قومية، إلى جانب العمل لبناء دولة مؤسسات تنشط لتفعيل التنمية. وقد بدأ الرئيس عبد الناصر بإشراك أصحاب الاختصاصات والمفكرين لحشد طاقاتهم للتوجّه إلى وضع سياسة داخلية متميّزة وإصلاح واقع مصر، بما في ذلك أهمية تنفيذ برنامج اقتصادي سياسي اجتماعي، يقود إلى إنجاز مرحلة التغيير بإطلاق الثورة الديمقراطية. إلا أن ما صعّب مسيرة البناء، عوامل عديدة داخلية، أهمها أن الضباط الأحرار لم يكونوا على تواصل أو تحالف مع الأحزاب الوطنية قبل الثورة، والجبهة الداخلية غير متبلورة اجتماعياً ووطنياً، ومجموعة الضباط لا تحمل معايير الخبرة الكافية لتحقيق التغيير المطلوب وسط مفاهيم القطرية والانتماء الأفريقي.

أما معوقات تسريع خطوات العمل الثوري الخارجية لانطلاق المفاهيم الثورية العربية الجديدة، تمثّلت في التآمر الخارجي ومعاداة الإمبريالية والصهيونية العالمية والأنظمة العربية الرجعية لثورة يوليو وتوجهها القومي الأصيل، مما فرض على قيادتها التصدي للأزمات الوافدة من الخارج، وهذا أيضاً كان على حسب تحقيق التنمية بشكل متسارع في الشأن المصري الداخلي.

ورغم كل تلك المعوقات والمؤامرات السرية العربية والدولية التي خفّضت من وتيرة العمل لبناء الدولة والتنمية، فقد استطاعت القيادة في مصر بناء أسس دولة مصر الحديثة وفق معايير العدالة والمساواة والقانون. لا شك في أن أهم فاصل بين مرحلة الثورة ومرحلة برنامج بناء الدولة، كان في تأميم قناة السويس، بعد رفض البنك الدولي تقديم قرض لمشروع بناء السد العالي، في الوقت الذي كان الاتهام للرئيس جمال عبد الناصر من بعض الأنظمة والقوى السياسية بأن الثورة قريبة أو صنيعة المعسكر الغربي والسياسة الأمريكية، وجاء تأميم القناة دليل نفي تسبب في إعلان الغرب وأمريكا العداء العلني، مما أدى إلى انفتاح السياسة المصرية على المعسكر الاشتراكي "الاتحاد السوفييتي" للحصول على الأسلحة والدعم الفني والتقني والسياسي، مما أثار حفيظة الإمبرياليين وإعلان حرب مفتوحة على مصر تشكلت بعدوان ثلاثي ركائزه إنكلترا وفرنسا و "إسرائيل".

لقد فشل العدوان في تحقيق أهدافه مما ضخّ زخماً في عروق ثورة يوليو للمضي في عملية التطوير والتنمية الداخلية في إطار تنظيم متماسك - الاتحاد الاشتراكي العربي-، أفرز ثورة الإصلاح الزراعي، والاشتراكية، وتطوير مشاريع صناعية كبرى كمصنع الحديد والصلب والصناعات العسكرية، وغير ذلك من المشاريع التي وفّرت فرص عمل لشعب مصر، واقتصاد يتوجه إلى الاستقلالية والمتانة.

لكن الاهتمامات القومية والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص، والإيمان بأن الطريق الأهم والأفضل يتمثّل في تحقيق وحدة متكاملة عربية، كل هذه الأمور كانت حاضرة في ضمير الرئيس جمال عبد الناصر، الداعم والمساند لكثير من الحركات التحررية العربية، والعمل على تقوية الجيش المصري وتسليحه بالسلاح المتطور استعداداً لمعركة التحرير الكبرى في فلسطين.

لست هنا في معرض تلبيس الثورة ثوب الكمال، ولكل تجربة إيجابياتها وسلبياتها، وما قام به مجموعة من الضباط الأحرار الشباب متطلعين بكل أمل لتطوير مصر والالتفات إلى المحيط العربي والإسلامي والعالمي، ومن يعمل على تلك الأهداف، لا بد أن يتعرّض لبعض الإخفاقات في بعض التوجهات، وعداء الإمبرياليين والأنظمة العربية الرجعية كانت دائماً بالمرصاد لنجاحات الثورة.

أخيراً.. إن ثورة يوليو بقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والضباط الأحرار حققت لمصر وللأمة العربية ما لم يحققه أي نظام عربي، واستطاعت أن تستقطب رضا الجماهير العربية قاطبة، وما خروج الجماهير في كل عواصم ومدن العالم العربي يوم هزيمة حزيران واستقالة عبد الناصر، محمّلاً نفسه بشجاعة مسؤولية الهزيمة، برفض استقالته والإلحاح على بقائه قائداً لمسيرة النضال العربي، لأكبر شاهد ودليل على صدق توجهاته القومية وإخلاصه لقضايا الأمة.

لقد استطاع الرئيس جمال عبد الناصر أن يحقق مكانة وقيمة وحضوراً لمصر وللأمة العربية على المستوى العالمي، واستطاع أن يكون القائد لتطلعات وأمنيات شعوب الوطن العربي من خلال مواقفه الوطنية والقومية، وكان بكل الأوقات مستهدفاً من قبل أعداء الأمة، ومن العقول التي تخشى التغيير والإصلاح.

إن الحركات الثورية العربية المتناغمة مع فكر ثورة يوليو، ما زالت تقدم كل أسباب الدعم للمقاومة العربية، وهذا متوارث من فكر الرئيس جمال عبد الناصر، الذي كان وسيبقى حاضراً في أقوال وأفعال الشعوب المتطلعة إلى حريتها وتحررها.

رحم الله الرئيس جمال عبد الناصر في يوم ذكرى الثورة 23 يوليو، ويبقى الأمل معقوداً على شعب مصر الحر والقادر على النهوض واستعادة موقعه الريادي.

في الذكرى الثامنة والخمسون للثورة

ليس الحنين للماضي

هو الدافع الى الاحتفال بيوليو

محمد الشرقاوي

بل الحاضر لقد تركت اثرا ما زلنا نعيشه اليوم وبالتالي ليس امرها قد مضى ويحدونا حنين نحوه .. لا .. انها قائمة اليوم سواء عبر قناعتنا بجدوى قيامها او في سياق الصراع المستمر معها بوصفها خطرا على ما كان او على الهيمنة الغربية القائمة لذا يتوجب الاحتفال بها وليس للحنين الى ماض مضى

أن حالة التفاوت الطبقي الذي تعيشه مصر في العقود الثلاثة الأخيرة، إلى جانب غياب فكرة العدالة ذاتها، تستدعي قيمة ثورة يوليو التي انحازت إلى فكرة العدالة الاجتماعية كركيزة أساسية في أهدافها، فهاهو الاحتلال الأجنبي يعود من جديد والصلف "الإسرائيلي" يبلغ مداه، بينما الفشل هو مصير كل المشاريع العربية الحالية بعد تراجع فكرة التضامن العربي، وفشل التنمية القُطرية في كثير من البلدان

أن كل هذه الظروف تستدعي دائماً الأفكار الوحدوية والقومية والتحررية التي دعت إليها ثورة يوليو، وهو ما يعني بوضوح رد الاعتبار للثورة ولأهدافها ومنجزاتها، في ظل التحديات القُطرية والإقليمية والدولية التي تواجه الوطن العربي .

أن قطاعاً كبيراً من المصريين لم يعايش ثورة يوليو بحكم الشريحة العمرية، حيث إن 50% من سكان مصر تتراوح أعمارهم الآن ما بين 18 30 عاماً

لقد وصلت ثورة يوليو إلى هؤلاء من خلال إعلام مضاد للثورة، دأب على تشويه منجزاتها، لكن ذلك لم يفلح كثيراً فالمعاناة التي يعاني منها الشعب المصري والعربي تستدعي دائماً قيم الثورة .و لا يزال قطاع كبير من الشعب المصري يحتفظ لثورة يوليو في ذاكرته بإنجازاتها مدافعاً عنها وعلى ما تبقى من شركات القطاع العام والتعليم المجاني والحد الأدنى للملكية الزراعية .

كان يجب على مصر النظام وهي الدولة الأم أن تحافظ على قيم الثورة في الذاكرة القومية باعتبارها حدثاً تاريخياً عظيماً، مثلما فعلت فرنسا مع الثورة الفرنسية التي بقيت فوق أي جدل أو خلاف سياسي .

أن التطور في البعد الاجتماعي كان أبرز ما رسخه عبدالناصر في الدولة المصرية، بحيث أصبح الجميع شركاء في كافة الوظائف والمناصب فالقيمة الحقيقية التي خلفتها ثورة يوليو تكمن في قائدها الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، الذي صار ملء السمع والبصر، فلا تزال الجماهير في العالم الثالث أجمع تستدعيه كلما نزلت بها المصائب والمحن، حتى إن الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز أعلنها صريحة عندما قال: نعم أنا ناصري وأمضي على خطى عبدالناصر .

و يكفي أنه كلما ذكر اسم عبدالناصر في حضور الأجيال الجديدة التي لم تعاصره ينبعث في النفس نوع من التفاؤل، وهو ما يعني أن كل ما نادى به وعمل من أجله سيظل حاضراً داخل الوجدان يتناقله جيل وراء جيل، رغم مرور ما يقرب من ستين عاماً على قيام الثورة .

: لقد كشف الغضب الشعبي في كل العواصم العربية في أعقاب العدوان "الإسرائيلي" على غزة عمق تجذر معاني وقيم ثورة يوليو، فقد انتفض الشعب العربي كله رافعاً صور زعيم الثورة في الساحات والميادين، في إشارة واضحة تقول إن عبدالناصر كان وسيظل رمزاً للصمود، وإن ثورة يوليو كانت وستظل هي التجسيد الصادق لأحلام الشعب العربي في الوحدة والاستقلال والحرية .

أن ثورة 23 يوليو/ تموز 1952 تركت معاني ومكاسب معنوية لا تزال تسكن وجدان الأمة، ولا يستطيع أحد إدخالها إلى دائرة النسيان، وفي مقدمتها قيم المساواة وتكافؤ الفرص والعدل الاجتماعي والانتماء و التحرر الوطني و القومي و: مثل هذه القيم لا تزال حاضرة في وجدان الشعب العربي انطلاقاً من كونها قيماً إنسانية سامية يظل رمزها الزعيم جمال عبدالناصر باقياً .خالدا في ذاكرة الجماهير

عيد الثورة الثامن و الخمسين - تغطية أعلامية مصورة

عيد الثورة الثامن والخمسون

و تشمل الإحتفالية علي فقرة شعرية للشاعر الكبير سيد حجاب و فنية للفنان المطرب احمد اسماعيل و الفنان علي اسماعيل و معرض كاريكاتير للفنان عصام حنفي و معرض "الكتاب القومي"

عيد الثورة الثامن و الخمسين - تغطية أعلامية مصورة

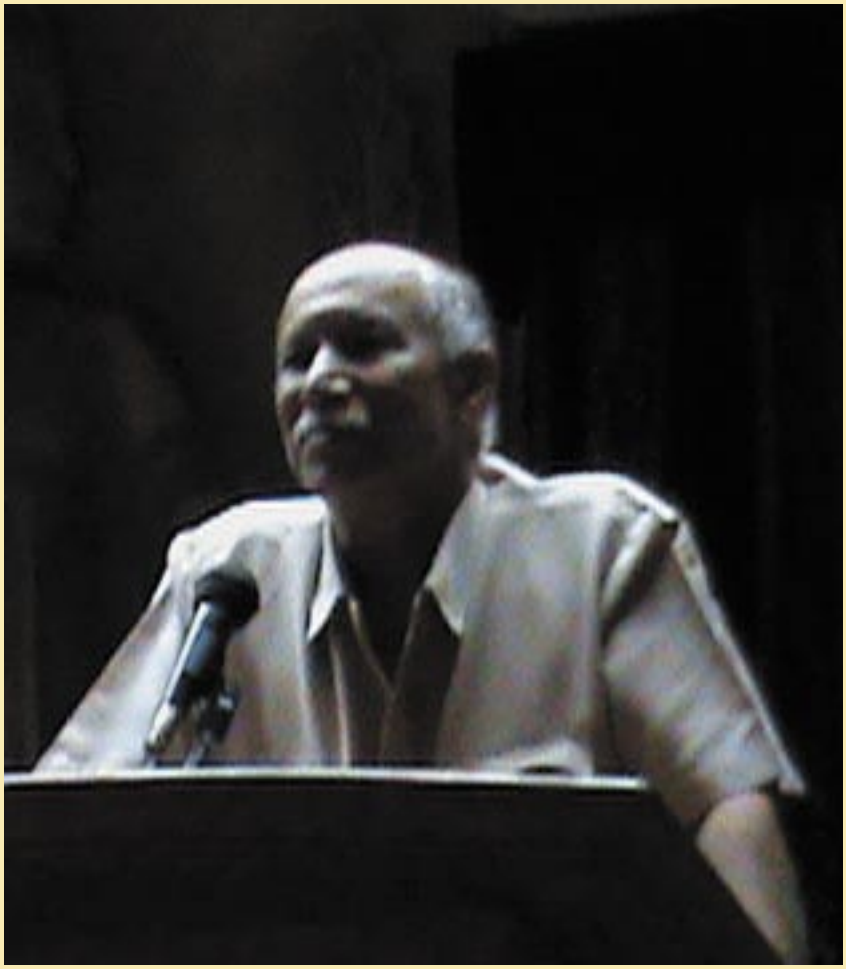

ركزت الأحنفالية علي نضال الناصريين الحالي و المستقبلي و أستضافت الندوة السفير المشاغب علي حد قول القائد جمال عبد الناصر وهو الدكتور أبراهيم يسري صاحب القضية الناجحة ضد تصدير الغاز للكيان الصهيوني و ايضا قضية اقامة الجدار العازل علي الحدود المصرية مع فلسطين كما أستضافت الأحتفالية الصديق يحي حسين أول من حارب بيع القطاع العام الناصري مؤيدا بالوثائق و المستندات وكشف حجم النهب التي تعرض له الوطن و أسس حركة لا لبيع مصر و أيضا سقير عبد الناصر محمد الخولي الذي هاجم نظام الردة و تحالفه مع العدو الأمريكي الصهيوني و ايضا الدكتور اشرف بيومي الذي جاهر بناصريته بعد أن كان معروف عنه أتباعه الماركسية و الدكتور اشرف أول من دافع عن العراق و قاد عدة مظاهرات ضد العدوان الأمريكي علي العراق و أدي ذلك الي فصله من عمله في الأمم المتحدة و هاجم بيومي مدعي الناصرية و بعض من الماركسيين الذين توروطوا في مايسمي بالتمويل الأجنبي لجماعات المجتمع المدني و دعي الي دمج كل ماهو وطني بكل القضايا القومية كما أستضاف المؤتمر الأستاذ حسن محمد حسن الأمين العام للحزب الناصري باسوان الذي هاجم في كلمته شرعنة الأمين العام للحزب الناصري أحمد حسن للنظام المتصهين الحاكم في مصر العروبة و شدد علي موقف الناصريين الصحيح من الثورة المضادة التي يمثلها التشكيل العصابي الحاكم و عدة مئات من غلمان الحزب الحاكم الذين اصبحوا يملكون السلطة و الثروة

و طالب الكاتب التاصري عبد الحليم قنديل المنسق العام لحركة كفاية و الممنوع من الكتابة في مصر لموقفه الثوري من النظام بثورة للناس الأحرار كبديل عن ثورة الضباط الأحرار و التي

في الختام

في الذكرى الثامنة والخمسون للثورة

أنتهت بحرب أكتوبر 1973 و عبر قنديل عن دهشته و أدانته لموقف النظام المنافق من ثورة يوليو و التي أنهاها السادات و مبارك وهم يشيدون بها في خطبهم و علي صفحات جرائدهم

أترككم مع الجزء الأول من مقاطع الفيديو

و كل عام و أنتم بخير مع تمنياتي بعودة الوطن الي قيم الحرية و الأشتراكية و الوحدة للفنان أحمد أسماعيل من الأحتفال بعيد الثورة ال58 قي 25 يوليو 2010 - نقابة الصحفيين فـدائي - من أغاني ثورة 23 يوليو و حرب الأستنزاف

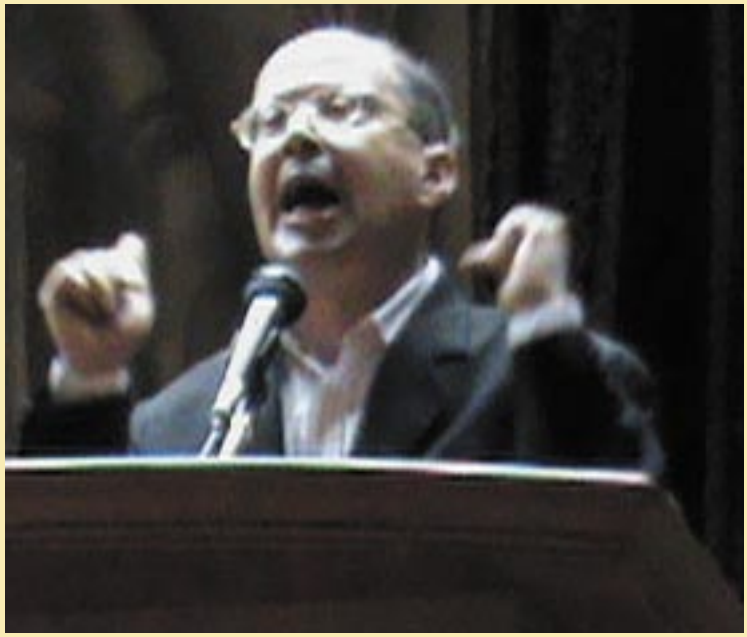

http://www.youtube.com/watch?v=ivKMaUkQCXM
بالأحضان و أحلف بسماها و ترابها - أغاني ثورة يوليو
http://www.youtube.com/watch?v=E0uTfJoJDco
بلدي يابلدي بلد الثوار يابلدي - من أغاني ثورة يوليو
http://www.youtube.com/watch?v=OyURTx__Ah4U
علي راس بستان الأشتراكية من أغاني ثورة 23يوليو
http://www.youtube.com/watch?v=ehtnzYLjVPc
كلمة عبد الحليم قنديل حتفال عيد الثورة ال58
نقابة الصحفيين 25 يوليو2010 - الجزء الأول مع مقدمة من الأستاذ الكاتب سليمان الحكيم عن نضال الناصريين في الستيتيات
http://www.youtube.com/watch?v=Npng-GKwP54
نقابة الصحفيين 25 يوليو2010 - الجزء الثاني
http://www.youtube.com/watch?v=ojmpE3HDN8o
السفير محمد الخولي يشرح فيه خطاب نظام مبارك عن ثورة يوليو
كلمة السفير محمد الخولي أحتفال عيد الثورة ال-58 25 يوليو -2010 نقابة الصحجفيين المصرية - الجزء الأول
http://www.youtube.com/watch?v=Jy3TbfoE0EM
الجزء الثاني
http://www.youtube.com/watch?v=f4Dmh3U7dV0
كلمة الأفتتاحية - محمد الشرقاوي- نقابة الصحفيين 25 يوليو 2010
http://www.youtube.com/watch?v=cQuxrzgzTlY
المهندس يحي حسين و كلمته عن نهب الوطن
http://www.youtube.com/watch?v=emIymAGw-dk

محمد الشرقاوي

ثورة ٢٣ يوليو

باقون على العهد